على قيثارة الروح

تصميم الغلاف

صالح محمود سلمان

على قيثارة الروح

مجموعة شعريّة

كُتِبت القصائد عام ٢٠٠٩

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٦م

على قيثارة الروح: مجموعة شعرية / صالح محمود سلمان .- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٦م .- ٢٦٤ص؛ ٢٠سم. (من الشعر العربي؛ ٢٣٠).

١- ٨١١.٩٥٦١ س ل م ع   ٢- العنوان

٣- سلمان   ٤- السلسلة

مكتبة الأسد

من الشعر العربي

« ٢٣٠ »

الإهداء

إلى العُقول الواعدة

خلفَ هذا الحصار

الدّاكن

صالح

في دفتر الشّاعر

الاســـتهلالات

استهلالٌ أوّل

القصيدة

إنَّها قِطعـةٌ من نَشيجٍ يُرجِّعُها الطِّفْلُ

فوق السَّرير الَّـذي

نـاءَ عن حَمـلِ حرمانـهِ

فانكسَـرْ

إنَّها قطعةٌ من حريـر الكـلامِ

اشتهاها غُلامٌ فَحمَّلَهـا قلبَـهُ

ثُـمَّ طارت إلى آخـر الصَّوتِ

مَسكونـةً بالسَّفَـرْ

إنَّهـا قطعـةٌ من مساءٍ

يُزيِّنُهـا كُلَّ حِيـنٍ بِريشتهِ عاشقٌ

فَـرَّ من قلبـهِ ذاتَ لحـنٍ وَتَـرْ

إنَّهـا ليلةٌ من ليالي غِنائيَّـةٍ

أيقَـظَ الصُّبحُ إيقاعَهـا

وهي تَسعى إلى مَوْعـدٍ

تحت نـاي المُحبِّيـنَ

مَـرُّوا على نهرها ذات هَمْسٍ

وصاروا على حقلهـا

فُسحـةً من شَجـرْ

إنَّـها لوحـةٌ فوق صدر البـلادِ

الأماني يُراودْنَها كُلَّ جُرحٍ

ويَسكبُها النَّبْعُ في كأسِهِ

ثُـمَّ يَمضي إلى آخِـر المـاءِ

تَخشى حقيقتَها البِيـدُ

فـي صدرها ألـفُ سهمٍ

يُسدِّدُه مُنحَـدَرْ

إنَّهـا باقـةٌ من نُجـومٍ

يُشكِّلُهـا كُلَّ يومٍ هـلالٌ

فيَهوى غِلالتَهـا الصُّبـحُ

يَمشي على دربهـا مثـلَ طفـلٍ

يُحدِّثُها عن فضاءٍ لهُ طَعْمُ نارنْجةٍ

من مرايا الصِّغَرْ

إنَّها وَثْبةٌ

ليسَ يأتي إلى رُوحها الضَّعفُ

أو يَقْدِرُ الموتُ أن يُطفئَ الوهجَ في نارها

فهو **(**ياما**)** على حدِّها

ناءَ طوفانُهُ فانحسَرْ ..

استهلالٌ ثانٍ
وَمضات

-١-

وكنتُ إنْ رأيتُ غيمةً تَطيرُ في السَّماءْ

أقولُ : هذه الأقماحُ في المَدى تَجولْ

طَحينُها يُقَمِّرُ الخُدودَ في طُفولةِ الغِناءْ

ويرسمُ الشِّفاهَ في دفاترِ الفصولْ

-٢-

زَرَعْتُ في طريقكَ الأشواكْ

وقُلْتُ : لن تَجيءْ

فـراحَ من ستائر الشُّبَّـاكْ

يُطِلُّ وجهُـكَ الـمُضـيءْ

-٣-

كَتبتُ في جريـدة الصَّباحْ

حكايـةً عن طِفلـةٍ تَنـامُ في الحبَـقْ

ومَـرَّ بـي خَيَالُهـا وَفـاحْ

فَرُحْـتُ مـن وِشاحهـا

أُلمِـمُ العَبَـقْ

-٤-

تَقـولُ لـي حديقـةٌ مُعلَّقـةْ

فـي بُحَّـةِ النِّـداءْ

هُنـا الرُّؤى قصيـدةٌ مُعتَّقـةْ

عـن عاشقٍ يُقيـمُ في السَّمـاءْ

-٥-

جَمَعْـتُ مـن عرائس الكـرومْ

كواكبـاً تَشعُّ في الدِّنـانْ

إذا رأيتَ في مَدارهـا النُّجـومْ

شَهيَّةً كَوَجْنةٍ في هالـةِ الجُمـانْ

فقبِّـلِ الشُّعاعَ فـي شِفاههـا

عليـكَ فـي رِحابِهـا الأمـانْ

-٦-

كأنَّنـي سَمعـتُ خلـفَ هَمْسكِ النَّهـارْ

-١٥-

يقولُ لي : تعالَ كي أُريكْ

شِغافَها يبوحُ بالأسرارْ

من شوقها إليْكْ

-٧-

تَناثَرَ البريقُ من يديْهْ

على فَمي

كأنّه العبَقْ

دَوَّنتُهُ في دفتري قصيدةً أزفُّها إليْهْ

لكنَّهُ ...

من وَهْجها احترقْ ..

-٨-

لأنّني أعرفُهُ

أقولُ : هذا الحُبّ

لو لم يكُن يعرفُني

لقالَ : تاهَ الدَّربْ

-٩-

ومرَّ بي على عَجَلْ ..

وقالَ لي :

ساحرةٌ مَفاتنُ السؤالْ

(كَمَنْزلٍ ليس لنا بمنزلِ) ..

كأنَّهُ من عالمٍ يُقيمُ في الخيالْ

-١٠-

أَضَعْتُ فـي جَديلـةٍ أصابعـي ..

مَـن جاءنـي

وبعـد أن نَسيتُ أَنَّني أَضَعتُهـا

يُعيدُهـا جديلـةً كانـتْ معـي

أظنُّنــي نسيتُهــا ؟!

استهلالٌ ثالث

-١-

جاءت تُلملِمُ ما تَناثَرَ من أَحاديثِ الأحبَّةِ

خلفَ باب اللَّيلِ

تَجْفَلُ إذ تَراني واقفاً

يَتَسلَّقُ اللبلابُ نافذةً على صدري

ويَتركُ ظلَّهُ ..

هل أَسبَلَت جفنَيْنِ في صمتٍ

ومالَت كي أرى الكلماتِ

تَهطلُ من فضاءِ الروحِ ؟

هل تَركَت سماءَ الصَّحْوِ

كي تَلِجَ الغيومَ السُّودَ في خَفَرٍ

فأحلُمَ بالصدى ؟

قالت لها شفتان ترتعشانِ في وَلَهٍ :

هُنالك خلفَ نافذةٍ تَراءتْ شِبْهُ عَيْنٍ

كان قنديلٌ صغيرٌ في سريرِ الوقتِ يَحلُمُ

طفلةٌ تَركَت على سُوْرِ المدينةِ وردةً حمراءَ

صوتٌ هامسٌ كالدِّفء يَسري من أناملها جَوىً ..

هي نجمةٌ ....

لكنَّ ضوءاً كان يَنمو فوقَ وَجْنتها

فيرسمُ لوحةً :

تلكَ الصَّبيَّةُ مَن تكونُ ؟!

وذلك العصفورُ

هـل سكبَت عليه سُلافـةَ الألـوانِ

كي يبـدو سعيـداً مثلَ نَرجِسةٍ

يُداعبُ ثغرَهـا صوتٌ فترقصُ ؟

أيُّ إكليـلٍ تَهـادى

حين باشرَتِ الصُّعودَ إلى الأعالـي

فـي مَراكبَ من هُيـامْ ؟

هـي رغبـةٌ خَلَعَت عليْـكَ شَفيفَ بُرْدَتِهـا

فأَشعلَـتِ المَواقـدَ في بُرودةِ هذه الأجسادِ

أَحْيَتهـا لتَفتتِـحَ المواسمَ

هـل رأيتَ على أناملِهـا حروفَ العشقِ

تَلْثمُهـا طيورٌ ، أو تُناسِمُها عُطورٌ ؟

قُلْـتَ : شَهوتُهـا تُحلِّقُ بي إلى الأمـداء

فـي قلَـقٍ

يُؤَرِّقُنـي لمَاهـا كُلَّما افتـرَّت شِفـاهُ

النَّبـعِ عـن عَـذْبِ الكـلامْ

هـيَ نَشْـوةٌ

فاحمـلْ إلينـا حينَ تَجمعُـنـا القصيدةُ

تحـتَ أفيـاءِ النَّسائمِ

قُبلَـةً تنمـو على فمهـا المُـدامْ

- ٢ -

كُلَّمـا جئتُ كي أَبـدأَ القـولَ أَرجَعَنـي صوتُـهُ

قـالَ : اِبـدأْ

ولكن بعيداً عن الآخرينَ

فهُم يَنظرونَ إلى جِهةٍ فيهِمُ

أنتَ أُنظُر إلى حيثُ بوصلةُ الرُّوحِ

قالت: هُنا البدْءُ

هَلّا بدأْتَ من الغيمِ يَنْعي السَّرابَ ؟

- السَّرابُ استعدَّ لِميتَتِهِ من زمانٍ

فَرَشَّ البِذارَ على رملنا..

قالَ : اِبدأ من الرَّملِ

قلتُ : الرِّمالُ نهايتُنا ..

- ابدأ الآنَ من وَمْضةٍ أخرجَتها الرياحُ

مِنَ الرملِ

أَيقِظْ بها الطِّينَ في أَحْرُف المَجْمرةْ

قلتُ : هذي البدايةُ محروقةٌ

لي أنا مثلما قُلتَ بوصلةٌ

وجَّهتني إلى نُقطةٍ فوق نُون النَّدى

علَّمَتْني قراءتَها

كوكباً يُخرِجُ النُّورُ من كافِهِ أحرفَ المُبتدى

قالَ : احمِلْ إذاً وِزْرَ هذي البدايةِ

لا تنتظرْ مَغفرةْ

إن أَتَتْكَ الرياحُ

على مَتْنها كُلُّ أوزار تلك الصحارى

وقد كُنتَ ألقيتَها خلفَ ظَهر الخيالِ

استعدَّ لوثبتها المُنكَرة

-٣-

ليـلاً تُضيءُ ليَ الطريقَ فَراشةٌ

فأطيرُ نحو غزالتي

بجناحِيَ الظمآنِ للضَّوءِ القصيِّ

مُوَسِّداً رأسي شهابَ القلـبِ

يَبتهجُ الكلامُ إذا المَعاني

جُلْـنَ في رُدهاتهِ ويُضيئُني

فأَسيرُ في مُتناوَلِ السنواتِ صَبّا

فإذا عَزَفْتُ على الضلوع قصائدي

عَبَقـاً تُوقِّعُه الـمُنى

وجمعتُ ما نثرَت شفاهُ اللَّحنِ من دُرَرٍ

وطافَ اللؤلؤُ المكنونُ في بحرِ الفـؤادِ

حديقـةً للشَّوقِ

تَجعلُني أُغـرِّدُ في فضاءٍ عـامرٍ

بطيوفِ مَن عبروا جراحَ القلبِ حُبَّا

ويَطيرُ بي نجمٌ

تَنَزَّلَ من مجَرَّتها

إليها

قلتُ : هذا النجمُ بوصلةُ الفؤادِ

وهذه الأمداءُ من عبَقٍ ورُؤيا

تَنسجُ الأطيارُ بهجتَها

على نَوْلٍ شَفيفِ الروحِ

تأخذُني الفراشةُ من يدي

وتَغِلُّ في لُغَةِ البنفسجِ

لم يَزَلْ حُلُمي يُداعبُها

فيصدحُ لحنُها في الدربِ عَذْبا ..

تَعۡقيب

لِلحُلْمِ كَوكبةٌ تَمرُّ على المَقاعدِ خُلسةً

فتُطِلُّ من عَيْنٍ هناكَ حديقةٌ

يَتبادلُ العُشَّاقُ في أطرافِها مَتْنَ الحديثِ

يُقبِّلونَ الزَّهرَ في ثَغْرِ الحكايةِ

يُترِعونَ الكأسَ من خمرٍ تُعتِّقُها القصائدُ

في مَجامرِها

فيبتهجُ الكلامُ

ويَصيرُ يَقطفُ ما يشاءُ من المَعاني

-٢٧-

هـذه لغـةٌ تفتَّحَ زهرُها في الأُفْـقِ

مُنعتِقـاً مـن الأصداءِ

فارعةٌ كقاماتِ الضِّياءِ البِيضِ

فـي كُتُـبِ النوارسِ

بَضَّـةٌ كشفاهِ سوسنتينِ في حقلِ الطفولةِ

ليس يَحجبُها ظَـلامُ

هـي كوكبٌ ينمـو على يـدهِ فَلَـكْ

هـي وَمضـةٌ في حضنها تنمو النجومُ

فنجتلي منهـا مَلَـكْ

يُلقي على أطلالِ هذي الأرضِ بَسْمتَهُ

فتنهضُ مـن تَبَعثُرِها بـلادٌ

ليسَ يَعْروهـا فِصـامُ ..

تَحذير

لا تكُـن مُولَعـاً بالحِسانِ

الحِسانُ جَمالٌ على أُهبَـةِ الغُنْـجِ

يَكتبْـنَ بالكُحْلِ أسماءَهنَّ على مِرْوَدٍ غامضٍ

ثُـمَّ يَذْهَبْـنَ في كَـرَزٍ غامقٍ في الشِّفـاهْ

لا تكُـنْ مُولَعـاً بالكـلامِ

الكلامُ فَراشٌ على شُعلةٍ في البعيـدِ

شُموعٌ على حافَّـةِ الريح تبكي

زماناً يُغلِّفُهُ الميِّتون بأكفانهم

بعد فَصْلِ المَتاهْ

لا تكُنْ شاعراً

أيُّ شِعرٍ هذا الذي كنتَ تَتلوهُ في

حَضْرة القلبِ

تَنْدى بأحرُفِهِ السوسناتُ الغَريراتُ

يَقطفْنَ من ثغرهِ قُبَلاً ماجناتٍ

يُخبِّئنَهُ تحتَ قُمصانهنَّ

ويَروين أخبارَه للمساءِ

يُسامِرْنَهُ

كُلُّ إصغائهنَّ لهُ

ولهُ الوَردُ والنَّهدُ

- ٣٠ -

والأعيُنُ الناعساتُ

المَواويلُ والدربُ

والكتُبُ المدرسيَّةُ

والوقتُ من أَوَّل الظِّلِّ

حتى اكتمال القَمَرْ

لا تكُن ...

لا تكن ذا فُؤادٍ يُحِبُّ

وعقلٍ يَرى

كُنْ كما يَقتضي واقعُ الأمرِ

من .....

من حَجَرْ

مُراقبٌ أوَّل

رأيتُـه يُداعبُ الورودَ في حديقة الحيـاةْ

ويَقرأُ العبيرَ في كتابها

شهيَّةً كَدَفْقَـةِ العسَلْ

فقلـتُ :

إنَّ صوتهُ كشهقة الميـاهْ

فـي غيمةٍ رقيقةٍ تَحومُ فـي

خواطر الجبَـلْ

رأيتـهُ

علـى مَدارجِ الصِّبا يسيرُ وحـدَه

ووحدَها عصـاهْ

تُراوِدُ الكلامَ عن إيقاعهِ الحبيسِ

في الشِّفـاهْ

كأنني سمعتُها تقـولُ :

ما العمَـلْ ؟

مُراقبٌ ثانٍ

قُلْ لِـمَـنْ يُرسِلُ العاشقُ الآن مَوّالَـهُ

قبـلَ أن يَستبدَّ الرحيـلُ بمركبِـهِ

نحـو قُبلتِـهِ الـمُوهَنَـةْ ؟

قُلْ لِـمَـنْ يَقرأُ الآنَ أشعارَهُ

وهـو يَذْوي على منبَـرٍ من هـواءٍ

تُطـاردُهُ الأمكنَـةْ

هـل تُراهُ استراحَ على صخرةٍ في البعيـدِ

تُوسِّدُهُ صدرَهـا ؟

هـل يَنـامُ القطـا ؟

جاءه الصوتُ من بيـن طيّـاتِ تلك الفلاةِ :

القطـا لا ينـامُ

فناوَلَهَـا يقظـةَ الراحِ من كأسه الـمُثخَنـة

مُراقبٌ ثالث

.....

ثُـمَّ يأتي على ذِكرِ اسمٍ

لَـهُ سَطْوةُ الريـح في عالَـمِ اليَـمِّ

أحرُفُـهُ ثَـرَّةٌ

أيُّ نبـعٍ يُضاهي عُذوبتَهـا ؟!

قُلْـتُ :

هـذا سيجعلُني مُولَعـاً بالتَّقَصِّي

سَيَجعلُني مُولَعـاً بالكلامِ الذي

يَحملُ الضـدُّ في خَطْوِهِ ضِـدَّهُ

أيُّ مَعنىً سأُطلِقُهُ الآنَ في حَضْرةِ الاسمِ ؟!

حَيٌّ هُوَ الاسمُ في صخرتي الـمُجدِبةْ

هل سيأوي إلى ظلِّها القادمونَ ؟!

وهل يَرتوونَ ويَمضونَ في دربهمْ ؟!

كُلَّما قيلَ لاحت لأعيُنِهم نجمةٌ

قلتُ :

هذي مواسمُهم في حُقول الرُّؤى أَيْنعَتْ

هل سيقطفُها الساهرون على أمنها ؟!

قالت الأرضُ :

في رَحِمي الآنَ أضعافُ ما يَحلمُ الحاصدونَ

الينابيعُ مَوّارةٌ بالغِلالِ

اسمعوا ما تقولُ الأزاهيرُ والطَّيْرُ

والشَّجرُ الـمُستنير بما كان أَخرجَهُ

الحُبُّ من ميِّتِ الأتربةْ

مَـن سيأتي إلى موعـدٍ غامـضٍ

خلفَ هـذا الكـلامِ ؟

هُـو الاسمُ يُنبي عن الفعـلِ

في كتُب النَّحْـوِ

هـل يَقـرأُ القادمونَ تَباشيرَهُ غَضَّـةً

في أَكُفِّ السحـابْ ؟!

قناديلَـهُ

في حُضـور الغيـابْ ؟!

وأحرفَهُ البيضَ

إنْ أصبحـت مَكتبـةْ ؟!

مُراقبٌ رابع

قـابَ ليـلٍ وطريـقْ

كان حتى الأمسِ مَحْمولاً على كفَّيْهِ

لا يدري مَـداهْ

حَدْسُهُ خُطواتُـهُ

الحمراءُ في أرضٍ حريـقْ

قـابَ همسٍ وشُجـونْ

كانت الأفكارُ تَنْسَلُّ خُيوطاً من رُؤاهْ

قـالَ :

هـذا العُمْـرُ أصداءٌ تَهـاوَتْ

تحـتَ أقـدام المَنـونْ

ليس يُجديـه انفتـاحٌ للمَـدى

ليس يُعفيـهِ الصدى من مُلتقـاهْ

قلـتُ : أُعطيـه يَـدَيَّ

عَلَّـهُ يَذكُـرُ أنّـي

كنـتُ خِـلّاً وصديـقْ

فانثنى كُحْـلاً يُوشِّي مقلتَـيَّ

بحقـولٍ مـن أفانيـنِ ضيـاهْ

ورقةٌ أولى

عـن مَوْعـدٍ عنـد اتِّحـاد اللَّحنِ بالكلماتِ

حدَّثَني كثيـراً

كنـتُ كالمأخـوذِ أُصغـي

أَتبـعُ الشفتيْـنِ

أَستجلـي معـاني الأحرفِ العَطِراتِ

أَستقصي المكـانَ

هُنـــا ....

هُنـاكَ ....

ذهبتُ كي أَلقى القصيدةَ شِبْـهَ كاملـةٍ

وأدنـو كي أَشُـمَّ اللَّحـنَ من ضحكاتها

فَهَوَيْتُ من أعلى الحُروفِ إلى رحيقٍ

قُلتُ أَرشفُهُ

رَشَفْتُ الضوءَ فاتَّسَعَت خُطايَ

وَصلتُ في وقتٍ تَماهى فيهِ

صوتُ الغيثِ باللُّغةِ الرشيقةِ

هل رأيتُ الصوتَ يَصْطَبِحُ الحُروفَ ؟

وهل سمعتُ أَريجَها يَنثالُ في أُذُنَيَّ ؟

هل يَصحو نديمي قبلَ أن تَنمو على

شفتيْه أُمنيةٌ تراءت لي

فُوَيْق شُجيرة الدرّاقِ

هل أصحو قُبيْلَ تَشَعُّثِ الأوراقِ ؟

ما زالَ الحديثُ الثَّرُّ يَصْدحُ

قلـتُ :

مَـن ذا ينفخُ النغماتِ في طيـن الخليقـةِ

كـي يصيرَ، كما رأيـتُ،

غِلالـةً مـن بيلسـانْ ؟

ولِـمَـنْ سأُلبِسُـهـا غـداً

فـي مَوعـدٍ تهفـو إليـه الروحُ

فـي أقصى حدود اللاّمكـانْ ؟!

ولمـن سَأَروي قصّتـي ؟!..

ألفيـتُ أنّـي أَسأَلُ القلـبَ الـمُشَتَّـتَ

بيـن موعـدهِ

ونـايٍ يَقطفُ الألحـانَ من ريـحٍ

يُسابقُهـا وقـد بلـيَ

الزمـانْ !

ورقةٌ ثانية

تحت سَقْفٍ من الأُمنياتِ اجتمعْنا

خَلِيَّيْنِ إلاّ من الخمرِ والشِّعرِ

نَصْحو على رَغبةٍ

ثمّ نغفو على رَغبةٍ

نصفُ نومٍ يُسامرُنا

ثُمَّ يَمضي إلى صَحْوِهِ

خلفَ بابِ الغيابْ

أيُّ نَومٍ يُراودُنا ؟!

كيفَ نَمضي ونتركُهُ واقفاً

تحتَ ظِلِّ الحضورِ ؟!

المسافاتُ تَستلُّنا من صباحٍ يُصادرُنا خَطْوُهُ

في دروبِ الضَّبابْ

قد يقولونَ :

أَسْرَفْتُمُ في الكلامِ ..

اصمتوا أنتمُ كي تَصُبَّ العصافيرُ

ألحانَها في كؤوس الضُّحى ..

أيُّ سقفٍ سيبقى إذا قَطَّعَ الشِّعرُ أوتارَهُ ؟!

أيُّ بابْ ؟!

كم يَلُومونَنا

إنْ غَدَوْنا إلى غَيْهبٍ نرشفُ الضوءَ

من كأسهِ !

كـم يلومونـنـا

إنْ صَحَونـا على ذِكْـرِهِ !

إنْ هَجَرْنـاهُ كي نلتقي صوتَـهُ في الغنـاءِ

يَلومونـنـا إنْ رأينـا على أُفُـقٍ مُوغِـلٍ

فـي السَّديـمِ سَحابـاً

وإن ضَمَّنـا في الصَّحارى عُبابْ

نحـنُ من مَعدنِ الشِّعرِ صُغنـا كواكبَنـا

كـي يُضـاءَ بهـا الكـونُ

مـا ضرَّهـم إن تَلَوْنـا تراتيلَنـا في الفضاءِ

احتفلنـا على صفحـةٍ كالمساءِ

مَشينـا على حَـدِّ سيفِ الزمـانِ ؟!

ومـا ضرَّنـا إن نَسينـا تراتيلَهـم

أو تَرَكْنا قناديلَهم

وانتمينا إلى زيتنا نحنُ

مِشكاتِنا نحنُ

أشواقِنا

مَرْجِ ماءٍ كما الأقحوانِ

مراكبُنا فيه مَيَّاسةٌ كالقبابْ ؟**!**

ورقةٌ ثالثة

لحديقةٍ يَتبـادلُ الفرشاةَ في ألوانهـا

وَجْهـان من قوسٍ ومن وتَـرٍ

فيبتهجان كالطفلين في حقل اللُّعَـبْ

لحديقةٍ يتسامرُ العُشّاقُ في حَنَواتها

وَردٌ وأَقمـارٌ

وصُبحٌ من غنـاء النَّحل في العينيْـنِ

أوراقٌ لِيَنثُـرَ ما يَشاءُ اللَّحنُ من دُرَرٍ

نـداءٌ فـارهُ الأصداء

نَسمعُه فنركضُ كي يُعلِّمَنا

سُطورَ الضوء في صُحُفِ العِنَبْ

لحديقتيْـن من الرؤى

نسعى فتصحَبُنا القصيدةُ غَضَّةَ الشفتيْـنِ

باسمـةً

أيُشرِقُ وجهُهـا بالماءِ

أم شجرٌ يُغازلُها رقيـقَ البَـوحِ

تمْشوقَ العَجَـبْ ؟!

وتُهيبُ بي عَيْـنُ القصيدة كي أراكَ

تُطِلُّ من هَمساتها

وجهـاً تُحيطُ بـه الحروفُ

يَـدٌ تُلَـوِّح لـي : هَلُـمَّ إلـيَّ

إنْ أقبلْـتُ مُبتَـدَأً أأَنسى

ما تراكَمَ في طريقي من خُطَـبْ ؟

هَـبْ أنَّني آنَسْتُ في عَتْـمِ المدينـةِ وجهَكَ

اتَّسعَـت رُؤايَ إلى فضاء الريـحِ

أَشعلتُ الشُّموعَ لكي أُسامرَ دمعَهـا

وتلَوْتُ اِسمكَ في كتـاب النَّهـرِ

خبّأتُ القصيدةَ في إهاب التين والزيتون

أعلنتُ الرحيلَ إلى مَـداكَ

علـى بساطٍ من قَصَـبْ

هـل سوفَ يَتَّكىءُ الزمانُ على يَـديَّ

- ٥٠ -

لكـي أُهَدْهِـدَهُ قليـلاً

حيـن يَغتبـقُ المساءُ الفجـرَ

مَحْزونـاً نحيـلاً ؟

هـل سوفَ يَقبَلُني المكـانُ

إذا اجترأتُ على مكانتـهِ

ورُحْـتُ كمـا الـدُّروبِ

أُعيـدُ تَشكيلَ الخُطا

نحـو الجهـات العَشْرِ

كـي أَجِـدَ السبيلا ؟

هـل سوف أَعرفُ كيف أَرجِـعُ

حيـن يَجمعُني الحنينُ مُشتَّتـاً

أُحصي مَتاهاتٍ تَرامَتْ في دمـي

حِمْلاً ثقيـلاً ؟

هُـوَ ذا التَّساؤلُ مُفعَماً بالحُزن يَجعلُني

فأنـأى عـن حرارتـهِ

وحيـداً صرتُ

تَلْفَحُني عيـونُ اللَّيـلِ

تُرعِشُني

فأَستـلُّ القصيدةَ من فمي جمـراً

وأَصـرخُ :

لـم تكـن نـاراً

ولكن كانت الصَّرخاتُ بعضاً

مـن رمـاد الصَّمـتِ أَطفأَها الوهَـنْ

هـل سوف يأخذُني الوضوحُ إلى الغموضِ

أَصُبُّ من كَرْمي على فمه كؤوساً

ثُمَّ أرقصُ في العَلَنْ ؟

هل سوف يَتركُني وحيداً

أَشربُ الغَسَقَ الـمُعتَّقَ في عناقيد الأماني

كي أَفيءَ إلى حكايات الدِّمَنْ ؟

هُوَ ذا أنا ....

هل قُلتَ لي يوماً :

أُحبُّكَ أن تُعيدَ لِيَ السؤالَ

كما يَشاءُ لكَ الزمنْ ؟

هُوَ ذا أنا

حَرْفٌ من اللُّغة القَصيَّةِ

عاشقٌ للقُرْبِ

مـن ذا يُشعِلُ الأضواءَ في طُرُقي

بزيـت الحُـبِّ

كـي آتـي

فتقرأَني الطفولـةُ في أراجيح البَراءةِ

ضحكـةً أو نَسمـةً

للعطـر بـاحَ بهـا فَنَـنْ ؟

ورقةٌ رابعة

كُلَّما جاء صُبحٌ من الطَّيْرِ يشدو

على شُرفتي

قالَ لي :

اخلعِ النَّومَ

واصعَد

- أيا سيِّدي

إنّ هذا الصُّعودَ يُعَذِّبُني

كُلَّما مَدَّ لي دربَهُ أجفَلَ الروحَ

كيما تَفِرَّ إلى خَوفِها

مَرَّ ليلٌ :

تَفِرُّ إلى خوفِها

مَرَّ صبحٌ :

تَفِرُّ إلى خوفها

قالَ : اِصعَدْ

إنّ هذا الصعودَ ، بُنَيَّ ،

سيُشعِلُ قنديلَها ..

الورقة ما قبل الأخيرة

-١-

فـي الطَّريق إلى زهـرة الشِّعْـرِ

كانت خَلاخيلُها تُرعِشُ الصَّمتَ

قالـت :

هـي الدَّربُ مزروعةٌ بالعيونِ تُتابعُني

كِدتُ من وَجَلي أُوقِفُ الخَطْوَ

قُـلْ لي إذا مـتُّ مَـنْ يُكمِلُ اللَّحْـنَ بعـدي ؟

تأوَّهـتُ من حُزنهـا

فاتَّكأتُ على خاطري مُوهَنـا

-٢-

فـي الطَّريق إلى زهـرة العُمْرِ

كُنّـا صِغاراً يُدَغدِغُنـا العِشقُ

حتـى استباحت مَباهجَنـا

نَظـرةٌ مـن هُنـا

بَسْمةٌ مـن هُنـاكَ

حديثٌ كما الوَشْيِ يَحْبو على وَجْنةِ الجُلَّنارِ

احتمينا بما يُطلِعُ الشِّعرُ في دَرْبنا من مَغـانٍ

وقُلْنـا :

هـي النّـارُ في أضلُعِ العاشقين حيـاةٌ

فمَـن يُشعِلُ النـارَ في صدرنـا ؟

هـل أجابَـتْ : أنـا

ثُـمَّ ضَمَّت إلى صدرها بَوْحَنـا ؟!

-٣-

كـم أَخافُ على الغيثِ من سَطْوةِ المَحْـلِ !

أَسعى إلى فُسحةٍ من سماءٍ أُحاوِرُهـا !

كي تَهـلَّ قناديلُها فوق حَقْلي ..

أُناولُهـا أحرُفـي

كـم سأشدو إذا وقَّعَتْهـا على نغمة العُـودِ

أو كـم سأَخشى على الرَّسمِ من ريشـةٍ

حيـن تَنْـوي مُـلاحقةَ البَـرقِ

تَخشى ذُبالتَهـا أضلُعُ الغيـمِ

-٥٩-

هـل يُصبحُ اللونُ جمراً على راحتي ؟!

يَقبضُ الآنَ قلبي على الـ .. حُـبِّ

يَثْغـو كما الظَّبْيِ شوقاً إلى أُمِّهِ والحليبِ

الطريقُ إلى ضَرْعهـا مُوصَـدَةْ ..

مَـن يُعيـدُ الظِّبـاءَ إلينـا

وقـد رابَها أَمرُنـا ؟!

- ٤ -

هـل سآوي إلى غُربـةٍ

حيـن يَسْطو على دربيَ القادمـونَ ؟

الخريفُ الذي جَـرَّدَ الأرضَ من ثَوبهـا

جَرَّحَتْنـي تقاسيمُهُ

- ٦٠ -

فـوق نـايٍ على كاهلي مُجْهَـدةْ

ذلك الصوتُ في داخلي يَسرقُ النَّـومَ

مِـنْ أَعيُـنِ الحرفِ يَلْهـو بـهِ

ثُـمَّ يَسعى إلى شاهـقٍ

كـي يَمُـدَّ الرؤى فوقَـهُ

ذلك الصَّوتُ إطلالةٌ نحـو غَيْـبٍ

يُؤرِّقُني هَجْسُهُ كُلَّما لاحَ لي وَمْضُـهُ

قُلـتُ :

هـذي نهايتُنـا

فانتميتُ إلى خطوةِ الماءِ في جَـذْرهِ

مَـن سيدنو إذا ابتعَـدَ الطِّفْـلُ

عـن خافقـي مُتْخَنـا ؟

مَـن سيتلو إذا أَجْهشَ الحقلُ أَسماءَهُ

قبـلَ بَـدءِ الهطول على زرعنـا ؟

-٥-

اَلطَّريقُ إلى زهرةِ الشِّعرِ مزروعةٌ بالخطايا

فَمَـن يَغفـرُ الذنـبَ إن جاوَزَ الحَـدَّ

وازيَنَّتْ فِتْنـةٌ بالحروف الغَريراتِ

فـي ساحـة الرقصِ

يا أيُّها الشُّعراءُ استحمُّوا بأندائهـا

كـي تعودوا إلى بَـدءِ بَدئِكُـمُ

وانتشوا حيثُ حَطَّتْ بكُم طائراتُ الخيـالِ

هـي الكأسُ رُمّانـةٌ تَسكبُ الخمـرَ في وَجْدكم

كَـرْزةٌ ترسمُ القُبَلَ - الشَّهـدَ في لَوْحـةٍ

خلف صمت العشيَّـاتِ

نـايٌ تُداعبُـهُ في البعيـد الكرومُ

فتحملُكُمْ نحو كُلِّ الجهـاتِ تباريحُنـا ..

عَصيٌّ الدّمع

شاهدة

وأنـا الـمُعلَّـق من دمي

غادرْتُ هـذا الكَـونَ

مَطعوناً بألفٍ من عيون الرملِ

مُحتمِلاً سنينَ المَحْـلِ

أكتافُ الرحيلِ الـمُـرِّ فوق يَباسيَ المحروقِ

يَرسمُها الأقاربُ والأباعِـدُ

هـل أفَقـتُ ؟!

الوقتُ من زمنٍ تَكسَّر في الغيـابِ

الظِّـلُّ يَحملُهُ ويَرحـلُ

فـي شراعٍ أَغْبَـرٍ كالرمـلِ

فـي رَكْـب السرابْ .

ويَعـودُ بـي زمنٌ تَمَرَّس باليَبـاسِ

المـاءُ أحلامٌ تُدغدِغُ ما تبقّى من مُخيِّلـةٍ

وذاك الأخضرُ المطعونُ يَكتبني عَنـاءً

أَسْـوَدَ الشفتينِ في خَطْـوِ السحابْ

وأنـا الـمُحلِّقُ في سماءٍ ضاق بيدرُهـا

فعبّأتُ النجومَ بما تبقّى من جِـرارٍ

عَـلَّ قدِّيساً يَمـرُّ

وقـد تَعتَّقَـتِ الرؤى

فيفضُّ ختمـاً

ثُـمَّ يَنْعتـقُ العُبـابْ

احتمالات

-١-

قـد تَسيرُ الهُوَيْنى على شَفَةِ الحقل سُنبلةٌ

تَنْقـرُ الطَّيْـرُ من حَبِّهـا

ثُـمَّ تَسمو إلى قُبَّـة الامتنـانِ

حريريَّـةَ الـرُّوحِ

نَشْوى من القُبَـلِ الوارفـةْ

-٢-

قـد يُغنِّي شَريـدٌ على مقعدٍ يابسٍ

في الرصيفِ العتابـا

يُحدِّثُهُ عـن كـرومٍ

تُراوِدُهُ كُـلَّ يومٍ عناقيدُهـا

قـد يُغنِّي ..

ولكنّه يَكتـمُ الآهَ في صدرهِ ...

هـل سيَنسى مَواجعَـهُ

حين تأتي ولو كُلَّ عامٍ مواعيدُهـا ؟!

-٣-

قـد تُقـادُ الخيولُ إلى مَسلَـخٍ

تحـت سقف الخِطابـاتِ

فـي قاعـةِ الحـربِ

لكنّهـا سوف تُبقي الصهيـلَ

علـى وَجْـهِ جُدرانها

واقفـاً كالنخيـلْ

- ٤ -

قد يَفيءُ **المعرّي** وحيداً

إلى خيمةٍ

حين يُدعى إلى **مربد** الشِّعرِ

كي لا يَرى في مَدى ناطحات النجومِ

قصائدَ أحفاده نائماتٍ

على صُحُفٍ من غُثاءْ

أو يَشدُّ إلى بيته في البعيدِ الرِّحالَ

حزيناً على أَنْفُسٍ ذابلاتِ العُرى

لم تَعُد تَستطيعُ الهِجاءْ

- ٥ -

رُبَّ عُمْرٍ نُبَدِّدُهُ

حين نأوي إلى ظلِّنا في عيون المرايا

رُبَّ عُمْرٍ يُبَدِّدُنا

حيـن نَسعى إلى آخَرٍ

عند بَدْءِ التواريـخِ

فـي نَهْنَهـات السبايا

رُبَّ سيَّارةٍ لـم يَمرُّوا على الجُبِّ

ظلُّـوا يدورون حولَ النِّداءِ

ولـم يعرفوا مَصـدَرَ الصوتِ

أعطاهمُ التيـهُ دربـاً إلى بيتِـهِ

ثُـمَّ ساروا عليـهِ كأنَّهـمُ

مـن شظايـا ..

-٦-

رُبَّ ليـلٍ سيتركُني صاحياً

ثُـمَّ يَمضي إلى نومـهِ

غارقاً فـي دُجـاهْ

رُبَّ عُمْرٍ سيَحملُني مُثقَلاً بالسنين

ويتركُني مُنهَكاً

أشتهي مُنتهـاهْ

رُبَّ دربٍ يُلوِّحُ لي أن تعـالَ

ولكنّني مُقعَدٌ هـدَّني الشَّيبُ

والحـلُمُ الكهْـلُ

والأحرفُ الصُّفرُ في دفتـر الاشتباهْ

رُبَّ ...

هـل ينثرُ الطفلُ في لحظة الخوفِ ما قد جناهْ ؟

حلمٌ أوّل

بعيـداً سيُلقي بيَ العابرونَ

استطالوا على سطح بيتـي

كأنّهمُ من حبـالٍ

وغلّـوا حكاياتيَ الحالماتِ

أقاموا على فُسحةٍ كنتُ أرتادُهـا

مربطاً للبغـالْ

بعيـداً سيُلقونَ بـي ...

كُـلُّ ما عندهم من أباطيـلَ

أو مــن ..

رَمَوهـا على كاهلـي

ثُـمّ قالوا : استعدَّ لتنشرَها في الجهـاتِ

بِـذاراً لعاصمةٍ من غـلالْ ..

قريبـاً سيُلقي بهم عابرونَ

وأُبصِرُهم لائذيـنَ بخيباتهم

خلفَ أيّـاميَ السودِ ..

هـل سوف يُلقُـونَ بـي

فـي أقاصي الـمُحـالْ ؟

لهُـم في ضمير المرايا غُرابان في الصيفِ

هِـرّان في أُمسيات الـمُـواءْ

لهُـم في كتابِ المآسي كثيرٌ من الشِّعر والنثرِ

والغُصَصِ الراقصاتِ على الجُرْحِ

فـي أُحجيـاتِ القضـاءْ

-٧٥-

حُلمٌ ثـانٍ

طلَلٌ يَسيرُ على خُطاكْ

طلَلٌ يَلُوحُ على مَداكْ

طلَلانِ يحترقانِ في عينيْكَ

عصفورانِ في كفَّيْكَ يرتعشانْ

ودمٌ يُحاولُ أن يفرَّ

فقد تيبَّسَتِ العُروقُ

من التوقُّفِ في متاهات الرهانْ

وأراكَ تخرجُ من إهابكَ حائراً

تَتفقَّدُ الأطيارَ في قفصٍ هُنا

يبكي على شجرٍ هُناكْ

طلَلانِ من ماءٍ ومن طينٍ

تهاوى فوقَ ظلِّهما ظَلامُ

مُتدثِّرٌ بخطاكَ في أرضٍ كأرضكَ

يومَ جرَّحَها يَباسُ النهرِ

فانتحبَ اليمامُ

ومضى يُفتِّشُ عن تُرابٍ آخرٍ

في الغيْثِ

يَحرثُهُ على قلَقٍ غمامُ

طلَلٌ يُفتِّشُ عن خُطاكْ

طلَلٌ تُبعثِرُهُ يداكْ

وقصائدُ الشعراءِ تضربُ

فـي الجهـاتِ الستِّ

تَستقصي السَّحـابَ

وقـد تراءى خلفَ أستارِ الزمـانْ

لكأنَّ وجهاً أسوداً للكونِ ينمـو

مـن تلاقُـحِ هـذه الفَلَـواتِ

مـع ذاك الدخـانْ !

حُـلمٌ ثـالث

لـم يلتفِـتْ أَحَـدٌ إِلَـيَّ وقـد رُمِيـتُ

ولا يـدٌ مُـدَّت تُداعبُ كفَّهـا الأقـلامُ

تَسألُهـا الأصابعُ عـن ورودٍ

تَشربُ الكلماتُ فتنتَهـا

فتعـرجُ للغنـاءْ

لـم يلتفِـتْ أحـدٌ إلـيّ

كان الخليفـةُ عامـراً بالحُسْنِ

تَخطفُـهُ العيـونُ مـن البهـاءْ

لـم يلتفـتْ أحَـدٌ

وكفِّـي لـم يـزَلْ دمُها يَسيـلُ

وسيفُـهُ الأبـويُّ يَلمـعُ

حَـدُّهُ أَوْهَـتْ حرارتُـهُ ذُكـاءْ ..

نـداءٌ أوّل

لا تكسرْ إيقـاعَ الصمتِ

بهـذا الصوت المتكسِّرِ

تحت سياط الكلمات الجوفـاءِ

ولا تتوسَّـدْ أغصانَ اللَّيـلِ

أَتَرضى أن يَهربَ من بين يديْكَ

الخيطُ المشدودُ إلى شجر الجَـوزاءْ ؟

أَوَ ترضى أن تتناثرَ أعضاؤكَ

ما بين الوقت الهاربِ من بين يدَيْـكَ

وذاك الواقفِ بالمرصاد أمامكَ

أو ذاكَ الـمُوغلِ في العودةِ نحـوَ الماءْ ؟**!**

لا تدخُـلْ في هذي اللعبـةِ

فالأوقاتُ هُـلامٌ

والجسدُ الـمُتمسِّكُ بالوقـتِ

هَبـاءْ

نـداءٌ ثـانٍ

على أيِّ أرضٍ ستمشي

إذا الأرضُ صارت إلى غَيْهبٍ تائـهٍ

فـي السَّـرابْ ؟

إلـى أيِّ أرضٍ ستمضي

إذا الرملُ غطّى الدروبَ

وألقى إلى قاعهِ الشجرَ الميْـتَ

مُستوحشاً في العُبـابْ ؟

إلـى أينَ يا ... سوف نَمضي

إذا الريحُ قالت أنا النّـارُ

والنارُ ألقَتْ إلى الرملِ روحاً من الجمرِ

جُرحاً يُجدِّدُهُ كلَّ يومٍ ثقـابْ ؟

هـل تُرانا سيُدركُنا الغَمْـرُ ؟

يُغرقُنا في الأنيـنِ الحنيـنُ

يُلوِّنُنـا بالنُّحـولِ

ويتركُنا قِطَعاً من نشيجٍ على كلِّ بـابْ ؟

حِـوار

- قُـم وارتحِـلْ ......

***** لـم أَرتشِفْ منها سوى قدَحيْـنِ

هـذي الكأسُ حانيةٌ حنُـوَّ الأُمِّ

كيف أَغيبُ والنُّدَماءُ يحتفلونَ بـي ؟!

- قُـم وارتحِـلْ ....

***** لَـمْ أَحْـظَ من **قيسٍ** بغير القلبِ والأضلاعِ

مـن **ليلـى** بغير الوعـدِ والأوجاعِ

أوقفَني الجنودُ وفتَّشوا حتى الأصابعَ :

لستُ أحمـلُ غيرَ أشواقٍ

وأنغـامٍ على وتـرِ القصيـدةِ

نَفْحَةٍ مـن **«يا صَبـا نَجْـدٍ»**

وأزهـارٍ وعصفورٍ صغيـرٍ **......**

- أيّهـا المجنـونُ **!**

ممنـوعٌ دخولُ جميـعِ ما حَمَلـت يـداكْ

أَتَظـنُّ أنّـكَ **............؟!**

واهـــمٌ **......**

عينـاكَ أُحجيتـانِ **... !**

هـذا الأنـفُ **...... !**

ذلك ليس يَقْبَلُـهُ الخليفـةُ **....**

أيُّهـا المأخوذُ لا عقلاً حملْـتَ

ولا أبٌ منّا نَمـاكْ

قِـفْ واعتـرفْ

مِـنْ أيـن جئـتَ بمـا حمَلْـتَ ؟!

وأيـنَ تأخـذُهُ ؟ .....

وإلاّ ...

ويجيئُني صوتٌ على عُنُقي كما حَبْلٍ تدلّـى

- ما دمـتَ محكومـاً فغُضَّ الطرفَ وارحـلْ

أو فكُـن أحَـداً سِواكْ ..

تَساؤل أوّل

أَيَكونُ لـي هذا الـدمُ المسفوحُ

والزمنُ الـمُعَلَّـقُ في أراجيـحِ الأبَـدْ ؟!

أَيكونُ لي وَجَـعٌ تُعتِّقُـهُ المآسي

فـي دِنـانٍ مـن كَمَـدْ ؟!

ويكونُ لـي حُـزنٌ بحجـمِ الكـونِ

أفكـارٌ

غُبـارٌ مُطلَـقُ الأهـواءِ

ليـلٌ حالِـكٌ

والمـاءُ يَحملُـهُ السفيـنُ إلى الجفـافِ

ولـي الزَّبَـدْ ؟!

هـو واحـدٌ

اثنـان

آلافٌ

ووحـدي :

أعرفُ الأسماءَ من أصواتها الأُولـى

أُنـادي ..

كـم أُنـادي !

هـل سيسمعُني أَحَـدْ ؟!

تساؤل ثانٍ

ومَـرَرْتُ قُربـي

كنتُ مشغولاً بقتـلِ الوقـتِ

بين يـديَّ أشلاءٌ تُبَعثِرُ

ما تجَمَّـعَ من رمـادي

حينـاً يُداهمُنـي صباحٌ غائـمُ العينَيْـنِ

أَذكـرُ أنّني انفطَرتْ مساءاتٌ

على كتـفيَّ

حيـثُ ذهبْتُ

مُنكسِراً أُواسي ما تبَقّى من مُرادي

فإذا جَمَعتُ إليَّ أشلائي

وشيئاً كان يَنقصُني

تراءى لي مُضيئاً

خلفَ أعتاب السُّهادِ

هل أَستعيدُ الجمرَ ؟

لم أسألْ سوايَ

وجدتُني أُصغي

وأنسى أنَّ لي صوتاً هناكَ

تركتُهُ يوماً يُنادي

هل شَرَّدَتهُ الريحُ ؟

ما هذا الغبـارُ الغائرُ العينينِ يَلْفَحُني ؟!

وحيـداً كنـتُ

كيف أُواجِـهُ الغاباتِ وحـدي ؟!

هـل ستُسعفُني البـلادُ

وقـد حَمَلتُ إلى بيادرهـا حصادي ؟

صوتٌ أوّل

وحيداً على غُربةٍ في دروبِ الحيـاةِ

ارتدى قلبَهُ كي يجوبَ الهوى عاشقاً

مثلَ قيسٍ يُراوِدُهُ حُلمُـهُ

رُبَّ ليلى تُناوِلُهُ نظرةً كي يَـرى

وجهَها نجمةً في جبين السماءْ

رُبَّ ليلى على نَشْوة القلبِ تَهْمي

فَيَهْمي على دفترِ الشِّعرِ حبـرٌ

يُناولُـهُ نفسَهُ

حين ينأى عن العينِ طيـفٌ

لغاديـةٍ من بَهـاءْ ؟

إنَّها لحظةٌ من عَقيـقٍ ستُرجِعُه نحو ماضٍ

يُعذِّبُـه كُـلَّ ذكرى

ويَجعلُهُ تائهاً حيثُ ألقَتْ بـه

رحلـةُ العُمْرِ

غُصناً على أُمنيـات المساءْ

وحيـداً يُحاصِرُهُ العَتْـمُ

والريـحُ والأحـرفُ الجُـرْدُ

فـي لوحـةٍ كالبُكـاءْ

صوتٌ ثانٍ

أيُّها الواقفُ كالطفلِ شريـداً

فـي مَدارات الكبـارْ

رافعـاً عينيْـهِ كالمنظـارِ

يَستجلي شهـاباً قبلَ يأتـي

حاملاً ضوءَ النهـارْ

إنْ أكُـنْ أعلنتُ أنّي تائبٌ

عـن صُحبة الأيامِ تَدْحوهـا

كُـراتٌ في فضاءٍ من غُبـارْ

هـل لأنّي مُوغلٌ في شَهْوة التفّـاحِ

تُدنيني إلى حَدَّيْـــهِ

أفكـارٌ كوحشٍ في قِفـارْ ؟!

هـل تُرى تَنْسلُّ من بين اتّحادٍ وانفصالٍ

أعيُنٌ ترنو إلى فجرٍ تَعثَّرَ بالعَثـارْ ؟!

هـل تُراني حين أَستلُّ احتراقي

سوف تَعْـدو بي مِهارُ النـارِ جمراً

نحو آفـاقٍ تبدَّت مثلَ كُثبانِ المَحـارْ ؟!

أيُّها الواقفُ كالصبرِ الـمُدَمّى

فـوق جُرْفٍ حائرٍ كالمـاءِ

أو كالملحِ في كأسٍ يُـدارْ

كيف تُلقي بي ريـاحٌ شارداتٌ

في فضاءٍ من نِثـارْ ؟!

لا تَسَلْني

كنتُ يوماً مثلَ عصفورٍ صغيرٍ

أم رهاماً ضاعَ في أرضٍ تُباهي

بالبَـوارْ ؟!

صوتٌ ثالث

إلى أين تحملُكَ الصافناتُ الغوادي

وفي القلبِ بوصلةٌ واحدةْ ؟!

إلى أين يحملُكَ العاشقونَ

استقالوا من الأرضِ

قالوا :

هو العشقُ إطلالةٌ نحو غيبٍ فسيحٍ

ترامت على بُقعةٍ فيه أرواحُهم كالطيورِ

يُغنُّون أغنيةً واجدةْ ؟!

تَمَسَّكْ بما يُخرِجُ الحيَّ من ميِّتٍ في الترابِ

اكتمِلْ فرحةً

إنّ هذا المَدى مُشرَعٌ كي تطيرَ

الهوى رَفَّةٌ في جَناحٍ

تهاديتَ في ريشهِ برعماً

أو كثيراً من الثَّمَرِ الغضِّ

في حُلُمِ المائدةْ ..

إطلالـة

هـل كنـتُ أَغتبِـقُ المَراثي

حيـن فاجأني الحَمـامُ ؟!

هديلُـهُ طِفْـلٌ يُداعـبُ قلبيَ المَكـلومَ

نافـذتي تُحاولُ أن تَفـرَّ من الحديـدِ

وفـوق باصرتيَّ سَقْـفُ

هـل كنـتُ أَنسجُ ليلتي شِعراً خفيفَ الوزنِ

يحملُني إليْـكَ

أنـا «**العصيَّ على الدمـوعِ**»

-١٠٠-

يُمِضُّني هـذا الجَفاءُ

ويَحتفي بـيَ منـكَ خُلْفُ ؟!

لَكأنَّ صوتـاً مـا يُحاولُ أن يُطِـلَّ

مـن الحروف كتبتُـها

ظمـآنَ

لكـنَّ السرابَ يَغلُّنا

فنُعيـدُ مَلْءَ الكأسِ من مـاء الخيالِ

نَعبُّـهُ

وتَعُـبُّ أُغنيـةً تُراوِدُ مسمعيْكَ

قُوامُهـا

نَحْـوٌ وصَـرْفُ

يـا أنـتَ ، يـا وعـدَ السنيـنَ تَمـرُّ

حاملـةً إلـيَّ اليـأسَ

لكنّـي ، وصوتُ الحربِ في أذُنـيَّ ،

أَستجلي الصهيـلَ

وما تُهاوي من كواكبها الأسنَّةُ

والغبـارَ

وطعنـةً في الصـدرِ أو في الظهـرِ

والطعنـاتُ حَتْفُ

كـم ذا تُحمِّلُني اللَّيـالي مـن هُمـومٍ **!**

أنـتَ لـم تَسألْ

ولـم تَحْفَـلْ بمـا أَرسلْـتُ من عتَـبٍ

-١٠٢-

كأنّكَ ، يا بـن عَـمٍّ لـي ،

هجـرتَ السيـفَ

أو هَجَرَتْـكَ قبضتُـهُ لتبحـثَ عن سِواكَ

وقـد أَنِسْتَ إلى الغوانـي

ليس يَجْلوهُـنَّ وَصْـفُ **!**

فـي كُـلِّ **خَرْشَنةٍ** أنــا

أَتكـونُ **خرشنـةَ** البـلادِ ؟**!**

الليـلُ أَطبَـقَ حاجبَيْـهِ

ولـم أَزَلْ في مُقلتـي صَحْـوٌ

وضَـوءٌ فـي السَّريرةِ لا يَجفُّ **..**

فـي كُلِّ **خرشنةٍ** شَبيـهٌ لـي

أراه على امتـدادٍ ليسَ يُدرِكُـهُ سوانـا

نحـنُ ، يا جبـلَ الجليـدِ ،

سُلالـةٌ للجمر تَنْمـو

إنْ يُداهِمْهـا الرمـادُ

رمـادُ مَـنْ جعلوا الصَّقيعَ إمامَهـمْ ،

شَبَّـتْ كعنقـاءِ اشتعـالٍ

فـي ذوائبهـا نَـرِفٌّ ..

صدىً أوّل

في زَمَنٍ يأتـي

أَحسبُني أنظرُه الآنَ جَليّاً

تَتَكدَّسُ فيه الأكتافُ على الصُّلْبانِ

رُوَيْـداً فرُوَيْـداً

تتصاعدُ منها آهـاتٌ وأمـانٍ

وقصائدُ من كبريـتٍ

ونـداءٌ يَتَوسَّلُ مـن يَحميـهْ

في زمـنٍ يأتـي

أحسبُني أقرؤه الآنَ مليّـاً

تتنابـذُ بالألقابِ قبائـلُ

نسَلَتها في أقبيـة الخمـرِ إمـاءٌ

مـن **هولاكـو** آخـرَ

لـم يحمـلْ سيفـاً

أو يُتلِـفْ حَجَـراً أو شَجَـراً

بـل كان «رحيمـاً جـدّاً»

حتّى أقصى دمعـاتِ مآقيـهْ

قـد يَحسبُني واحدُكُـم أَهْـذي

لا بـأسَ

هَبُونـي مجنونـاً يَتَوهَّـمُ

أو طفـلاً ما زالَ يُحاولُ

أن يتهجَّى أَحرُفَهُ الأُولى

مـن صُحُفٍ تتطايَرُ أرياشـاً

مـن بين يدَيْـهْ

فأنـا «آخيْـتُ»

ولكنّي مازلـتُ أراكم أحيـاءً

ولديكـم أدمغـةٌ وعقـولٌ

ونفوسٌ تَأمُـرُ أو تُنْهـى

مازلـتُ أراكم تنتظرون قدومَ اللَّيـلِ

وتَبتهجونَ لِذِكْـرِ الخَيْـلِ

وقـد تُلْقـونَ ثيـابَ الأحزانِ

طعامـاً للويْـلِ

إذا ما ابتسمَ النابُ الساكنُ في شِدقَيْـهْ

ما أكثرَ ما تَجْرونَ إليه دموعاً

من فَرطِ الحُزنِ

إذا ما عَطَسَتْ قِطَّتُهُ

من طَعْمِ الحَلْوى

أو من رائحةِ العطرِ

تُغَنُّونَ قصائدَ أشواقٍ لسماءٍ يَعشَقُها

وقصائدَ إعزازٍ لسماءٍ يَسكنُها

مُحتفياً بجميعِ بَنِيهْ

لكنّي «آخيْتُ»

وإخواني الفُقَهاءُ يَرَوْنَ الصُّلْبانَ ستكثُرُ

والمصلوبين يَجوبونَ الرُّدهاتِ جميعاً

في القصر الثاني بعد العشرينَ

يُمَنُّون النفسَ بصُلبانٍ أُخرى

كي يَزدادَ ثَوابٌ وُعِدوهُ

سيُخرِجُهم من عَتْم التِّيهْ

لا أهجو أحَداً منكمْ أو منهمْ

لكنّي أَلفيْتُ صديداً في أعراقٍ

أحسبُها كانت لدماءٍ

في زمنٍ ولَّى

يُشتاقُ إليْهْ

قد أَذكرُ شيخاً في هذي الساعةِ

علَّمَني في «الكُتَّابِ» الإعرابَ

من الفاعلِ حتى الاسم المجرورِ

وأَفهمني أنّ المجرورَ ذليلٌ

لا يُرجى منه الخيرُ

وأَسترجِعُ شاراتٍ رسَمتها شفتاهُ وعيناهُ

كأني أقرؤها في اللَّوح المحفوظِ

كلاماً عَلَّمَنيهْ

لا يهجو إزميلاً يَنحتُ في الصخرِ

هياكلَ تشبهكم

ويَصبُّ عليها ألوانَ خزائنكم

كي تُصبِحَ تاريخاً يَنسجهُ البُلَغاءُ

نشيداً وطنيّاً

تُنشِدُهُ الأجيالُ

فتسمو نحوَ المجد صُعوداً

من بين يديْهْ !

بــل يهجـو ....

لـن أُكمِـلَ هـذا الـ .....

فالصُّلْبـانُ ستغدو أجنحـةً لطيـورٍ

ستُحلِّقُ صاعدةً من جُثْمـانِ النـارِ

احتـرقتْ فـي مسـرحِ هـذا التِّيـهْ ..

غَسَق

-١-

مـن هُنا مَـرَّ ذاك الرحيـلُ بطيئاً على حَيِّنـا

وعلـى واحـةٍ من ضيـاءٍ

أَنـاخَ قوافلَـهُ

كـان يَمشي كما اللِّـصِّ

يَرقبُنـا كيفَ نَحْـدو قصائدَنا في العَراءِ

نُشاطِرُها الحَـرَّ والقَـرَّ

نُصغي إلى هَجْسها

حيـن تَحْنـو على جُرحنـا

ثُـمَّ تكتبُنا بين سطرين

مـن روحها الـمُعشِبةْ

لـم يُطِقْ أن يرانـا خليلَيْـنِ

فـي وحشة الـدرب

نَرْفـو مَواجعَنـا بالغنـاءِ

نُضمِّدُها بالحروف التي تَرسمُ

الارتقـاءَ وتعشقُـهُ

فانتضى مُديـةً مـن كِنانتِـه

مُغضَبَـةْ ..

-٢-

مثلمـا يَحرقُ الطفلُ إصبعَـهُ

حيـن يدنـو ليكتشفَ المِدفـأةْ

مثلما يَحملُ القلبَ في يـدهِ عاشقٌ

وهـو يدنـو إلى وردةٍ

ثُـمَّ يَسكبُـهُ باسمـاً

هكذا كنتُ لمّـا تقدَّمتُ كي أقطفَ الغيْـثَ

مـن غيمـةٍ مُرجَـأةْ

قـيل:

هذي طبائعُكـم أيُّهـا الشُّعَراءُ

الفراشاتُ علَّمْنكـم لَـذَّةَ الاحتراقِ

وراوَدْنكـم عـن شُمـوعِ القلـوبِ

أَتمُضـون كالبُلْـهِ ليـلاً

إلـى نارهـا الـمُطفـأةْ ؟!

-٣-

قد نُغنِّي معاً ذات حُزنٍ

فترثي لأحوالنا حانياتُ الطُّيورِ

وتَجْثو على شائكٍ

من سياجِ الحقولِ قليلاً

ومن ثَمَّ تَمضي

إلى شَدْوِها راسماتٍ به لوحةً

في كتابِ الحنينْ

هل سنُصغي إلى نايِها

وهو يَحْنو على جُرحها راعشاً

في حقول الأنينْ ؟!

- ٤ -

رُبَّما كنتَ يا صاحبي

مثلَهم غارقاً في رمالِ الضَّبابْ

رُبَّما صِرْتَ أُرْجوحةً

بين صَمتٍ يُؤَجِّجُنا كالحريقِ

وصوتٍ يُلاحقُنا كالذُّبابْ

مَن سيُنجيكَ من وَرْطةِ العُمْرِ

والناسُ مُعظمُهم تائهٌ

قد يَشفُّ اللَّظى عن مَعانٍ تَبَرَّجْنَ

أو

قد يَفِضْنَ اشتياقاً إلى لَثْم عينَيكَ

لكنَّهُـنَّ يُعِـدْنَ تِلاوةَ ما يكتبُ الكهـلُ

في أُمسيـات الشَّبـابْ !

-٥-

هَـبْ أنَّنـي آنسْتُ في هذا اليَبابِ الـمُـرِّ

نـارَكَ سُكَّـراً

وأنـا الـمُصـابُ بدائِـهِ

أدري ولا أدري مَصيري في رحابِـكْ

هَـبْ أنَّنـي

آوَيْـتُ في صدري صغارَ الطَّيْـرِ

مـن مطَـرٍ وريـحٍ واكتئـابِ

مَـن سوفَ يُؤويني إذا حُوصِرتُ

أو صُودِرتُ

واستهوى «رفاقُ الدربِ» في البَلْوى

عَـذابي ؟

رَسَموا على ظهـري خرائـطَ ،

فـي دمـي سكبوا بعوضاً

ثُـمَّ غاصوا فـي إهابِـكْ

مثـلَ أَعـوادِ الثِّقـابِ ؟

هَـبْ أنَّهـم رَجَموكَ بالصمـتِ الـمُعَلَّـبِ

أو بأخبـار الخنادق والفنـادقِ

هـل ستَسمعُهـم طويـلاً

أم ستُغلِـقُ دونهـم عَتَبـاتِ بابِـكْ ؟!

هَـبْ أنَّهـم حملوكَ في أسفارهـمْ

حيـثُ استطاعوا

واستطاعتهـمْ بـلادٌ أو جهـاتُ

هـل سوفَ تَترِكُنـا وتَمضي

خائفيـن وجائعيـنَ ،

البـرْدُ يُتحِفُنـا بمـا نَفَحـوهُ

مـن ثلـجٍ «رقيـقِ القلـبِ»

يُخرِجُـهُ على مَهَـلٍ ثِقـاتُ ؟!

وسيَكتبونَ لـكَ الرسائلَ

حيـن تَمضي نحـوَ موتِـكَ

خلفَ حُلـمٍ ليس يَعنيهـمْ

تَبـدَّى في فؤادكَ كالفَلَـكْ

ولَسوفَ تَلْتئِـمُ القصائدُ

فـي دواويـن الإمـارةِ

هـذه تَصْبـو إلى معنـاكَ

والأُخرى سترفـعُ مقلتَيْـكَ إلى الأعالي

شُرفتَيْـنِ من النُّجـومِ

ومجلسُ الأُمنـاءِ يَسكبُ نَخبَهُ

لمـن استطاعَ كلامُـهُ أن يَجعلَـكْ

فَلَكـاً تَـدورُ بـه النجـومُ

علـى المَناكـبِ في شبابِـكْ

هـل سوف تَنْعُـمُ بالشبـابِ ؟!

-٦-

ليـتَ لـي مثلَ ما للدروبِ

شعابـاً ووعْـراً

-١٢٠-

وظِـلّاً خفيفـاً

وخَطْـواً يُسابقُهُ الطَّـلُّ أو

يُظَلِّلُـهُ البيلسانْ

ليت لـي مثلَ ما للسماءِ

سَحابـاً وبَـرْقـاً

لكي أُمطِـرَ الآن غيثـاً على

أهلـيَ الظامئينَ

لكـي أَبعثَ النـارَ في مَوْقـدٍ مُطفَـأْ

فـي شتـاء الزمـانْ

صدىً ثانٍ

فَلْتُعِرني سماءً لأسألها حاجتي للهـواءِ

فضـاءً لأسأله رَفَّـةً للجناحِ

كُروماً من الضَّـوءِ

كـي أعصر الخمرَ للصَّحْبِ

لـمّا تجيءُ المواعيـدُ

رُمّانـةً كي أُعيـدَ الفصولَ التي ...

حيـن تَمضي إلى موعدٍ لا يُنـالْ

ما الذي يَجعلُ العُمْـرَ يَجري

وفـي إثْـرهِ تَركضُ الأمنيـاتُ

تُحاولْـنَ إيقافَهُ

غيـر أنّ الدروبَ تُوزِّعُها صوَراً

مثـلَ آلْ

إلـى أين تأوي الفراشاتُ

فـي هذه الحُلْكـةِ الـمُسدَلَـةْ ؟!

ومَـنْ سوف يُؤويكَ إنْ أطفأَ اللَّيلُ عينيْـكَ

أو وَجنتيْـكَ

وألقى على رأسك السَّامرون أباطيلَهم

والهـواءَ الذي يُفسِدونَ بأنفاسهم

والكلامَ الذي يَجعلُ الصمتَ يَهْذي

بأفكـارهِ الـمُقفَلَـةْ ؟!

وإلـى مَـن سَيُوكلُكَ الراحلونَ

وقد أذَّن اللَّيلُ في الناسِ

ضاقت بأرجُلِهم هَمْهماتُ الدروبِ

استطالت بهم عَرَباتُ الرحيلِ

حُداءٌ يُجرِّحُهم واحداً واحداً ؟

هل سيُلقُونَ في غُربةٍ

خلفَ هذا السرابِ الرِّحالْ ؟

هل سنذكرهمْ حين تَسري أحاديثُهم

نحو أحلامنا الحائماتِ

على واحةٍ في أقاصي الخَيالْ ؟

هل سنتبعُهم ؟

رُبّما يُرسلونَ لنا الآنَ خطواتِهم

كي نجيءَ إليهم صُعوداً

إلى قُبَّةِ الجُلجُلَةْ

صدى ثالث

وكما غرِقْتُ ولم أَزَلْ

في بركة الحِبرِ المُعَتَّقِ

منذُ دهرٍ

أَغرَقُ الآنَ

المَواسمُ أقفلَت بُستانَها

سأَسيرُ وحدي

إنْ تُداهِمْني لَيالٍ

أُشعِلِ القلَمَ الأخيرَ

وما تبَقّى في الكِنانةِ من سهامِ

سأَسيرُ ...

لا جدوى من الطَّرُقات

قال اللَّيلُ :

فابتسمَت غزالتيَ العصيَّةُ فوق قلبي

ثُمَّ أطلقَتِ الحَمامَ

رسائلي فَتَحَتْ نوافذَ في جدار الصمتِ

فانطفأَت على ثلجِ الرُّخامِ

هذا الرمادُ رمادُ مَن عبَروا

بَرازخَ هَمْهماتِ الريح قبلي

لم يَزَلْ يَتفقَّدُ الآتينَ

لم يَعثُرْ على جمْر البداية كي يَقومَ

وجُلُّ مَن عبَروا أقالوا خيلَهمْ

تحتَ الظلامِ

هذا الرمادُ، رمادُ أَعمارٍ

تَعلَّمَتِ القراءةَ في كتاتيبِ الموانئِ

هل تُراكَ قرأتَ فيها

ما تبقَّى من مَواسمَ في الزّحامِ ؟

اِقرأْ

وتَختلجُ السطورُ كما فؤادٍ

أيقظَت خفقاتُهُ يوماً قَطاةً

هل سيَقرأُ ؟

قالت اللُّغةُ الحَبيسةُ في المَعاجمِ :

حَسْبُهُ هذا التمعُّنُ في غزالتهِ

ليعرفَ أنَّ أطيافاً ترفُّ على أصابعه

عيوناً من مَلامِ

ولقد يُجرِّبُ أن يَفُكَّ رُموزَها

فيُصابُ بالهذَيانِ

هذي أَدمُعٌ خَرْساءُ

تلكمْ شامةٌ في الخدِّ يرسمُها شريدٌ

ثُمَّ ما تلكَ الدقيقةُ مثلَ خيطٍ ؟**!**

علَّها زمنٌ مضى

أو قُلْ زمانٌ ضاعَ في ميْتِ الكلامِ

وكما يُفسِّرُ طالبٌ في الصفِّ

أقوالَ **الفرزدقِ** في **جريرٍ**

كان يَسترضي **سُلافةَ** كي تُطِلَّ

هنا الورودُ رسائلٌ حمراءُ ناصلةٌ

وكان القَولُ فيما كان

من وقتٍ تَناثَرَ

بينَ طَيَّات الرُّكامِ

صدىً رابع

ولسوفَ أُغنّي كي أَنسى إيقاعَ العُمْرِ الهاربِ

مـن بين يَـديَّ

سَأُغنّي كي أَسمعَ صوتيَ

فـي هـذا الصخَبِ الـمُتَعالي

لديـوك الحيِّ

سَأُغنّي كي أَملأَ آذانَ الصَّمتِ الآتـي

فـي خَطْـوِ السنواتِ

بِجَـدْوَلِ أصداءٍ من صوتي المَنْفـيِّ

وسَأُعلنُ أنّي سأُعاقِرُ في رُدُهات اللَّيـلِ

كؤوسَ الضوءِ الهاطلِ

مـن دالية الرؤيـا في عينيّ

وأنادمُ غُرَبـاءَ الماضي والحاضرِ والمستقبَلِ

أُسكِنُهم بيتـي

أُطعِمُهم من زادي

أُدفِئُهـم

وأُرَدِّدُ أشعاراً نَزَفوهـا

منـذُ ولادتهم في صحراء الناسِ

إلـى ساعات قيامتهم

فـي العصرِ الذهبيّ

قـد أَكتبُ أشعاراً أَتغزَّلُ فيهـا

بالقمـر الـمُتماهي في وجـه الطفلـةِ

يَرسمُهُ في العَتْـمِ صَبـيٌّ

وأُوَشّي بضفائرِ وردٍ

مـن بُستانِ الإشراق ظِلالهَمـا

وأُعطِّـرُ أَنفاسَ الصُّبـحِ ببوحهمـا

فـإذا ما غبـتُ أراني

فـي مرآة الوجهَيْـنِ هِـلالاً ..

لَكـأنّي أَخرجـتُ

وروحي تُنعِشُهـا البَهجـةُ ،

حيّـاً مـن حيٍّ ..

من إيقاعات التَّخْت الشرقيّ

قانـون

قـد تأخذني موسيقا «**التَّخْتِ الشرقيِّ**»

الـمُنسابةُ من شَقَّـة جارتنـا

فأَطيرُ بأجنحةِ تراتيل العُـودِ

وبَـوْح النَّـايِ

وتَرجيعِ كَمَنْجات الـرُّوح

علـى الـدفِّ الرقراقِ

وأَنغـامِ القانـونْ

أَصواتٌ مِغْناجٌ تتصاعدُ من طبقات اللَّحْنِ

وأَكوابٌ تتبادلُ إيقاعاتِ الأنخـابِ

فتُغريني بتَعقُّبِ أوتـارٍ تَتجمَّعُ من حولي

-١٣٥-

كـي أبحـثُ فيها عن شُبّـاكٍ

أُشرِفُ منـهُ عليْـهْ

تُغريني كي أَخطوَ نحو الصفحاتِ المكتومةِ

مـن كُتُبِ المُوسيقـا

لأُحاورَ إيقاعاً يَتجوَّلُ بين علامات الترخيمِ

رَشاقتُهُ تُغري بالسَّطْوِ على وَمضاتِ

فـؤادِ صبيٍّ يَتَوهَّج بين يديْـهْ

واللَّحنُ الـمُتَواثِبُ كالهُدْهُدِ فوق سطوح الآذانْ

يتحدَّثُ عن أحلامٍ للجيرانِ

يَصوغُ ملامحَها في أقواسِ مَناسكهِ

عقـلٌ يتمايلُ كالسكرانْ

كـان القانونُ رَهيـفَ الإيقـاعِ

«حِجـازٌ» يَتدفَّـقُ من شفتيه الزيتُ

و **«رَصْـدٌ»** يتألَّقُ في عينيه المصباحُ

وغيبٌ يَسْتجلي في وَصْلتِهِ النُّسّاكُ مَواجِدَهم

بعيونٍ أدمَنَتِ التَّجْـوالَ

تُريدُ مَقاماتٍ أُخرى تَتفتَّـحُ

كي يَخْرُجَ منها ما يَرجـونْ

قـد تَخرجُ هيفـاءُ بثوبِ النَّـومِ

فتُغريهم بتتبُّعِ خطواتِ اللَّحن الـمُنداحِ خموراً

تُغريهم بتتبُّع أجزاءٍ من جسدٍ يَتثنّى كالضوءِ

علـى ساقَيْـن من الخَطوِ المَوْزونْ

قـد يَخرجُ تمثالٌ من طِينِ الشَّهَواتِ

يَمـدُّ يديْـه إلى الصَّبواتِ فيُوقظُها

يَهتـاجُ العـاجُ

يُريدُ مُداعَبَـةَ الأبَنُوسِ الـمُتجلّي في الأوتار

فيَصنعُ تمثالاً من طينٍ كالتِّبْرِ

ويَنفـخُ فيـهِ

ولكـنْ .. لا روحَ .. فيأسى

لِيُطَيِّبَ خاطرَه الذهبُ الـمُتناثرُ

مـن راحاتِ التصفيق النَّشْوى

بالشكل الأوحدِ للمضمونْ

تُغريني تلك الألواحُ المَنقوشةُ باللَّون السرِّيِّ

علـى الأوتـارِ

ويُغريني العُنوانُ الـمُتأرجحُ

كـي أَكتبَ في دفتر أيّـامي

مـا تُوحي الألوانُ بنغمته المرسومةِ

فـي شَفَـةِ الميـزانْ

هـل تَكتبُ ما أقرأُ في شفتيْـهِ

مـن الـدُّرَرِ العينـانْ ؟!

وإذا ما قرأَتْ جارتُنا «المنظومةُ»

بعضاً من دفتريَ السرِّيِّ

ستجفلُ

ثَـمَّ ستسألُني :

هـذا المكتوبُ غريبٌ عمّا عزَفَتْهُ الريشةُ

مـن أين أتيتَ بهذي الكلمات الوحشيّةِ

يـا هذا الولـدُ المأفـونْ ؟!

مـن أين أتيتَ بهذا التفسير الأعشى للألوانْ ؟!

مـن أيـنَ ؟! ومـن أيـــنَ ؟! و..

* لكنّي ضَيَّعتُ التفسيرَ الـمُبصرَ يا جـارةُ

منـذُ بدايـة تقويـم النِّسيانْ

هـل يُرشدُني كي ألقـاهُ

إمـامٌ في فِقْـهِ الأوزانِ

خبيـرٌ في عِلْـمِ التأويـلِ

نطـاسيٌّ

أو مَلّاحٌ خبِرَت دفَّتُـه إيقاعَ المـوجِ

على الألـواحْ ؟!

أم أنّي لا بُـدَّ سأسألُ عنـهُ

غُـرابَ البيْـنِ

ومصباحَ **علاء الديـنِ**

وجـدّي وعصاهُ

و**أيّوبَ** الـمُتقصّي خطواتِ الحوتِ

وأنبـاءَ الجَنّـة والتفّـاحْ ؟!

وسأسألُ رَفّـاتِ مناديـلِ المينـاءِ

وساقيَـةَ الضوءِ فُوَيْـقَ مُوَيْجات النهرِ

وصفصافَ النبـعِ تدلَّت أَذْرُعُـهُ

كـي تَلثُـمَ همساتِ الشِّعرِ

و**لُبنى**

ومواكبَ عُشّاقٍ يرتحلون إلى المجهولْ ..

وسأسألُ أَنّـاتِ اللَّيـلِ

وحُرّاسَ الخيلِ

وقُبَّرةً سكنَتْ نافذةً فوق الشُّبَّاكِ

وعُمْراً يَتدحرجُ فوق حرير الأفلاكِ

وأقلاماً تنزفُ فوق الأوراقِ

مِداداً من جُرحِ النَّدمانْ

هل أَسألُ صيحاتِ الطلّابِ

المُحتفلين بفوزِ الألعابِ

المأخوذينَ بإغراء كتابٍ في **«عِلْمِ اللَّهوِ»**

يُوزّعهُ فُقَهاءُ بناءِ **«الجيل الصاعدِ»**

بالمَجَّانْ **؟!**

هل أسألُ قُرّاءَ الكفِّ

وأُختَهمُ قارئةَ الفنجانْ **؟!**

لا بُدَّ

سأَسألُ أيضاً عنقودَ الداليةِ

يَمامَ صنوبرة البستانِ

الصخرةَ في الوادي

يَقتادُ إليها الذئبُ غزالاً

أَسألُهُ

أَسألُني

فنُجيبُ بلا شفتَيْنْ :

فتَّشتُ الأنباءَ

تَفَحَّصْتُ الكتبَ المَنسوخةَ في غُرَفِ

هُواةِ فنونِ **«التخت الشرقيِّ»**

وحاورتُ الأرجاءَ

ولكنّي ...

هل ضاعت أخبارُهُ في أثناءِ البحثِ

عـن الفاعلِ في جسد المفعـولْ ؟!

أو في آراءِ الجاهلِ في القولِ المجهولْ ؟!

أو في أقوالِ الناحلِ في الرأي المنحولْ ؟!

آ... هٍ

كـم أتعبَني البَحْـثُ !

وكـم تُتعِبُني الأوتارُ العطشى للَّحْـنِ

الكامنِ في إيقـاع الغيـثِ

وتُغريني كي أَكتبَ في دفتريَ المفتـوحِ

عـن النَّغَـمِ الأُنسيِّ من القانـونْ !

هـل تَرمقُني الجارةُ في هذا الوقتِ من اللَّيـلِ

بعينيْهـا الجارحتيْـنْ ؟!

أم أنّـي أَتوهَّـمُ ؟!

هـل أَرهقني البحـثُ وأَرهقني التسآلُ

وهـلْ ؟!..

قـد تَغْـدو الأسئلةُ طريقـاً شائكةً

لا يَسلكُها في زمن الأجوبـةِ العَصْمـاءِ

سوى المجنـونْ !

خيولُ الوقت

للوقتِ أَوراقٌ ليكتُبَ ما يشاءُ من الدقائقِ

مَوْعِدٌ ليُريقَ خمرتَهُ على

دربِ الحياةِ الصَّعبِ

أُمنيَةٌ ليَنسُجَ غيمةً في الأفْقِ

بيضاءَ السريرةِ

غابةٌ ليُرَبِّيَ الغزلانَ في جنباتها

والطَّيرَ في شجراتها

والذئبَ كي يَصطادَ أو يَصطافَ

آلافُ العناكبِ والكواكبِ

وَشْوَشاتُ اللَّيـلِ في أُذنِ الصباحْ

للوقـتِ أشكالٌ وألوانٌ وأسمـاءٌ

لُغـاتٌ

أَسطُـحٌ ، وحديثُ سُمَّـارٍ

وشَعـرٌ يَلبسُ الصَّفصافَ

أشعـارٌ كَسِربِ النَّحـلِ

آذانٌ ليَسمعَ ما يقولُ النهـرُ

قنديـلٌ يَجوسُ الليلَ كي يأتي الفَراشُ

إليـه مُبتهِجاً

وقلـبٌ طافحٌ بالعشقِ يَهزأُ بالخريفِ

وكـأسُ مَـوّالٍ يُنـادمُ ما تبقّـى

مـن كَمَنْجات الأقـاحْ

ولنـا طريقٌ واحـدٌ

كـي نَدخُـلَ الأوقـاتَ

نَجْنـيَ ما نَشاءُ من القصائدِ

نَرسُـمَ الواحـاتِ بالغزلانِ

بالشَّفَـقِ السَّنِـيِّ الخَـدِّ

باللَّفتـاتِ

هـل نَخْشى الذئـابَ ؟

الليلُ يَسترُنـا فنركضُ في شِعابِ الوهْـمِ

مُتَّشحينَ بالأصداءِ

يَسكنُنا الفَراشُ ومـا يُجدِّدُ من جراحْ

فـإذا القناديلُ استقالَـت

أيـن تأخذُنـا الدقائقُ والشُّهـورُ ؟

وأينَ تأخذُنـا القصائدُ حينَ نُسلِمُها القيـادَ ؟

وهـل ستُسعِفُنا النُّـذورُ ؟

وقـد نَسينـا فوق أرصفة الطفولـةِ

ما حفظنـا من حكاياتِ الرحيـلِ

وما رسمْنـا من أمانينـا ظِـلالاً

فـوقَ أشرعـةِ الريـاحْ ؟!

هـو غابـةٌ كالبحرِ تُدخِلُنا إليهـا

ثُـمَّ تتركنـا كمـوجٍ أو ظـلالْ ..

هـو رحلـةٌ كالريح تَحملُنـا بعيـداً

حـولَ أنفسنـا نُفتِّشُ عن مَـآلْ

هـو .. لستُ أعـرفُ

كـم سأسألُ عـن حقيقتـهِ

وخَطْوي مُثقَـلٌ بالخَطْـو يَتبعُني قليلاً

ثُـمَّ يتركُني وحيـداً

أَقتفي أثَـراً يَلوحُ على حدود الاحتمالِ

كمـا الـمُحـالْ ؟

للوقـتِ فـي جسدي خيـولٌ

كـم سترمَحُ بـي ؟!

وكـم أُحصي سنابكَ وَقْعِهـا حولـي ؟!

أَتَحتملُ الغبـارَ الروحُ في هذي الفَـلاةِ ؟!

الغيـثُ مُكتئبٌ يُفتِّشُ عن سَحابتهِ ليسألَهَـا

فهـل يَجِدُ السؤالْ ؟!

أنـا مَـن أنـا ؟!

والوقـتُ يَحملُني سريعَ الخطـوِ

يَدْهَمُنـي الخريـفُ

وليسَ يُسعِفُنـي حنيـنٌ أو رجـاءْ ؟!

أنـا مَـن أنـا ؟!

كُـرةٌ تَقاذَفُهـا الأماكنُ أم صدىً

يلهـو بـهِ طفـلُ الدقـائقِ

ثُـمَّ يتركُـهُ هَبـاءْ ؟!

أنـا زفـرةٌ حَـرَّى

تُلامِسُ أَدمُـعَ الصَّبَواتِ

تتَّقِـدُ الحروفُ على الشفـاهِ

تصيرُ من وَجَـعٍ

تُهدهِـدُ طفلـةً في الغيـبِ

تُرضِعُهـا معـاني المـاءِ كي تنمـو

أَتَغـدو نجمـةَ الصُّبحِ الـمُعَلَّقِ في المَدى ؟

أم سوفَ تَخطفُهـا خيـولُ الوقـتِ رامحـةً

فينكفـئُ الضيـاءْ ؟!

أنـا واحـةٌ للنخـلِ

آفـاقٌ مـن الأصـداءِ

كَـونٌ عامـرٌ بالضـوءِ

لا يأتـي علـيَّ اللَّيـلُ مهمـا جَـنَّ

لا يأتـي علـيَّ الدهـرُ مهمـا جَـنَّ

لا يأتـي الـرَّدى

فلقـد فُطِـرتُ علـى النَّمـاءْ

فلقـد فُطِـرْتُ علـى النَّمـاءْ ..

بعيداً عن الصمت

قُمْ تكلَّـمْ

لكي يَسكبَ الأُقحوانُ الحروفَ على رأسِهِ

مُستضيئاً بأنجُمِها الناهـدةْ

قُمْ تكلَّـمْ

لكي يَشربَ الماءُ من نبعكَ الثَّرِّ

عَـذْبَ الكـلامِ

فهـذا الطريقُ طويـلٌ ..

إلـى آخِـر العُمْـر نَمشي

ويَمشي بنـا العُمـرُ نحو الأباطيـلِ

قـد تَسْخَرُ السنواتُ الخَليّاتُ من عُمْرنـا

قـد نَحِـنُّ قليلاً إلى بيتنـا

ضحكةِ السنديـانِ

المغـارةِ في أسفل السفْـحِ

زَوْجِ العصافيرِ في ضفَّـة النّـهر

يشدو على طَرَف المـائدةْ ..

ثُـمَّ حَـدِّث غزالاتِكَ البِيضَ

عـن هِجرةٍ كنتَ رُبّانَها ذاتَ ضِيْـقٍ

إلى شاهقـات الجبـالِ

إلى الصخرِ

يَكْتَنِـزُ الضوءَ في أسطرٍ شاهـدةْ

مـن هنـا مَـرَّ يوماً أبـوكَ

ومـن قَبْلِـهِ مَـرَّ أجدادُكَ الصِّيـدُ

أجيـادُهـم تَسبقُ الصوتَ ضامرةً

يقرؤون السماواتِ والخضرةَ البِكرَ والشِّعرَ

أو يَشحذون الضِّيـاءَ إذا الليلُ جَـنَّ

يُمنُّـونَ أنفسَهم بالسَّحـابِ

لكـي يَشربَ الـوَردُ

يَستقبلونَ الضيـوفَ

يُغنُّـون فـي العُـرسِ

قـد يَسمُرونَ على ضوء قنديلهم ناعسِ العينِ

يُعطونَ أبناءَهم قِطَعاً من رغيـفٍ

وزيتـاً

ونـاراً ليُمضوا لياليهمُ البـاردةْ

إنْ توقَّفتَ مُستشرِفاً بعضَ أُفْقٍ يُلَـوِّحُ :

مِـن ها هُنـا مَـرّةً أطلَعَ الوحيُ أقمـارَهُ

آيـةً آيــةً

ثُـمَّ ضاءتْ بـه البيـدُ

كَلَّلَها نخلُـهُ

هـل ستسعى إلى رحلةٍ في الشتـاءِ

وأُخـرى على هامش الصيفِ

تَمضي إلى واحةٍ في السماءِ تُحدِّثُهـا

عـن صباحٍ على بُعـدِ فَجْريْنِ يأتـي ؟!

تَوَسَّلتَ كي يَهطلَ الغيثُ فوق الربـوعِ

التي جُفِّفَتْ في الضُّروعِ

وأضْحَتْ سراباً على غُربـةِ

الصُّحُف البائـدةْ

مَـن يَشدُّ إلى نُقطـةٍ في البعيد الرِّحالَ ؟

الصَّبيُّ الذي كنتَـهُ ذاتَ عُمْـرٍ

يُداعبُ قيثارةً تحت ظِـلِّ الفـؤادِ

فتأتي إليـه الفراشاتُ مَشوقـةً

أم تُراهُ الخيـالُ الذي بِـتَّ تَهـواهُ ؟

مِـن أوَّل الحُلـمِ تَحملُـهُ مُورِقـاً

كـم ستبقى تُحدِّثُـهُ عن سماءٍ تُداعبُهـا

كُـلَّ يومٍ أصابعُكَ الراعشةْ ؟

كـم ستنثالُ من أحرفِ الشِّعرِ

أَلحانُكَ التائقـاتُ ؟

الأمانـيُّ يَغزلْـنَ عينيْكَ

انظـرْ :

علـى آخر الدربِ إضمامـةٌ من شموسٍ

تُراهـا ستكفيكَ كيما تُنـوِّرَ

أَيّـامَكَ الـمُوحِشـةْ ؟!

غريبان

-١-

لائذاً بالرصيفِ

أُشاهدُهُ كُلَّ يومٍ فأُعطيه تُفّاحةً

قالَ : إنّي ملَلْتُ الخطيئةَ يا سيِّدي

أَعطِني قطعةً من رغيفْ

(كان لي هامشٌ

حينَ يأتي يُنادمُني الشِّعرُ

نَأوي إلى مقعَدٍ كالشِّراع على مَتْنِهِ

أيُّ بحـرٍ هُنـا كان يَحملُنـا ؟

ساعةً نحو شطٍّ يُحدِّثُنـا رملُـهُ

عـن غريـبٍ يُعاودُهُ كُلَّ ليـلٍ

ويسألُـهُ عن عيون المَهـا

ساعةً نحو أرضٍ تُسامرُنـا غِيدُهـا

ساعةً نحوَ عُمـرٍ يُساوِرُنا كالخريفْ **)**

-٢-

عائداً من جحيم المراراتِ كان الضُّحى ،

مَـرَّ في بُرهـةٍ كنتُ فيها شَغوفاً فأنَّبَني **:**

لا تُحِـبَّ

الهَـوى يَقتـلُ العُمْـرَ

يُلقيـهِ في مَهْمَـهٍ مُدلهِـمٍّ

ولكنَّني صرتُ حُبّاً أَطيـرُ

إلـى نُقطةٍ من عيون الحيـاةِ أُنادمُهـا

قـالَ :

وَهْـمٌ هـذا الذي أنتَ فيـهِ

انعتِـقْ من إسار الصَّبابـاتِ

أَطفِـئ قناديلَهـا

وانهَـلِ الحُلـمَ كأساً من اللَّيـلِ

اسكبْ غنـاءً على العَتْـمِ

اقبضْ على الريـحِ

إني قبضتُ على الجمر فاحترقَتْ أضلُعي

مـن لظى نبضـهِ فـيَّ

اقطفْ من الأُفْقِ أنجمَهُ

كـي تُوشِّي بها صورةَ الأمِّ في عيدها

وافتحِ الكَلِمَ الـمُغلَقاتِ

استحمَّ بليلكةٍ

وانثُرِ العطرَ في وجهها كي تُضيءْ

(مَوطِنٌ يَستضيءُ بنا

عندما يهطلُ الليلُ

نَذوي طَواعيةً كي يُضاءَ

فيُطفِئُنا واحداً واحداً

ثُمَّ يَنثرُنا

يَفرشُ الدمعَ ما فوقَ أشلائنا مثل سجّادةٍ

قـد يُصلّي ويقرأُ ما شاءَ

من سُوَرِ الحـزنِ

أو يقـرأُ الزلزلـةْ

هـل سيعبرُنا الذاهبونَ إلى حَتْفهـم

يحملون قصائدَهم في الرثاءِ لأبنائهم ؟

مَوْطِـنٌ يَعبُرُ الـمُترَفونَ إلى قَصْفهم

جسرَ آلامِـهِ

نَحْـو رَكْـبِ الغُـزاةِ

على خَطْوِهـم يُنثَرُ الزهـرُ والأُضحياتُ

تُراهـم يَرَونَ الـذي قيـلَ يومـاً :

يَجـيءْ ؟)

مَحكمة

رقيـم

يَرسمُ الشِّعرُ وجهاً

على صفحةٍ في الكتابِ

ويَمضي إلى بيتِهِ مُتعَباً

يَشربُ السُّهدَ من كُوبهِ

فوق مِصْطَبَةٍ من حجَرْ

هل سَيَنْأى عن الأهلِ

يَعْدو إلى آخر الدهرِ وَعْلاً

تُطاردُ ذئبةٌ ..؟!

-١-

مَـن تُـرى يَستطيعُ الكـلامْ ؟!

قالها عاشقٌ حين ألقى بـه الحُـبُّ

في غربـةٍ تَحملُ الجُـبَّ في عُبِّهـا

قالها شاعرٌ صادَرَت ما يقولُ المَراسيمُ

نادَتْـهُ باسمِ الذين انتهوا في الرُّخـامْ

قالهـا عارفٌ شرَّدَتْـهُ الأقاويـلُ

حيـن انتمى عقلُـهُ للأمـامْ

قـال لـي قـادمٌ

ودِّعَ الأهلَ والصَّحْبَ خلف البحـارِ

ليصحو على صخرةٍ قُرْبَ دارٍ

تراءى لـهُ غامضـاً كالمنـامْ :

إنّ هـذا المَـدى ضيِّـقٌ

كُـلُّ شيءٍ هنا ضيِّـقٌ

ما عـدا ذلكَ الـ .....

فهـو مُتَّسِعٌ

قلـتُ : هـذا ..

وأَخفضتُ صوتـي .

هُنـا ....

ثُـمَّ جَفَّـت على بُعـد قَيْدٍ لَهَاتـي ..

ثَـمَّ عَيْـنٌ تُراقبُنـي ..

مَـن تُرى يَستطيـعُ الكـلامْ ؟؟!!

- ٢ -

قال لي :

وجهُ مَن في الكتابِ ؟

انتبهتُ إلى أنّني أَرسُمُ الصُّبْحَ

في صفحةٍ كُلَّ يومٍ وأتركُهُ نائماً

قلتُ : هذا ...

وأَغلقتُ في الصوتِ باباً تُعَذِّبُني ريحُهُ

قالَ :

من أنتَ يا أيّها الـ .. ؟

قلتُ : إنّي ...

وأَكملتُ في السرِّ ما كنتُ أَفعلُهُ

قالَ : اِنطقْ ..

تحدَّثتُ عن رحلة **السندبادِ** إلى الشرقِ

عن **طائرِ الرخِّ**

عن بَيْدرٍ في أقاصي الجبالِ

يُكلِّلُهُ قمحُهُ

عن طيورٍ تُلوِّحُ لي كي أَطيرَ

عن الريحِ تَذْرو أحاديثَنا مثلَ رملٍ

وتتركُنا في العَراءِ

عن الطفلِ يَحْبو إلى عُلبةٍ فارغةْ.

قال: وقِّع هُنا ....

: لم أَجِدْ قلماً

قالَ: هذي الدُّواةُ وإبهامُكَ الأَيسرُ ....

الآنَ خُذهُ إلى ....

-٣-

نَسيَ الكَهْـلُ ميعـادَهُ .....

حيـن مَـرَّت على مَقعَـدٍ

فـي أقاصي الخيـالِ تَذكَّرَها

أَمسِ كُنّـا على شاطئ البحـرِ

طفلَيْـنِ نلهو على الرمـلِ

يَسألُنا الموجُ أن نقطفَ الشِّعرَ من بَوْحِهِ

لـم نُعِـرْهُ انتباهـاً ..

علـى بُعْـدِ سَطريْنِ من صوتِـهِ

خَيَّـمَ الصمتُ

قبَّلتُها .. ثُـمَّ حَلَّقتُ في شَعرها نَورساً

صارت الشَّمسُ تدنو إلى وجههـا

كُـلَّ صُبـحٍ تُداعبُـهُ

تَنشرُ الدفـءَ في خدِّهـا

تَرشفُ الخمـرَ من ثَغرهـا

ثُـمَّ تعلو لتقرأهـا من بعيـدٍ كتـاباً

وكنّـا على مَوْعـدٍ

كـدتُ أنسى

فذكَّرَني صوتُها قُـرْبَ قلبي ..

- ٤ -

نـامَ فـي وردةٍ ...

حيـنَ فاض الشذا من يديها أفـاقَ

استحَـمَّ بقُبلتهـا ثُـمَّ طـارَ

الجناحانِ من يَقْظةٍ

والمَدى ناعسُ الطرفِ يُغريهِ

قالت لنا وردةٌ في البعيد توَلَّهَا

في يَدي حَطَّ بالأمسِ شَهْداً

وقبَّلَني

من فمي ..

-٥-

كم تَصفَّحتُها في الكتابِ !

هُنا الشَّعرُ ليلٌ يُحدِّثُني عن نجومٍ

يُخبِّئُها عن عيون المُريدينَ

خوفاً عليهم

إذا ما رأوها يُفارقُهمْ عقلُهُم **...**

ثَمَّ حَقْلٌ من الجُلَّنارِ

تَباهى على الصدر رُمّانُهُ

أيُّ صَبٍّ أنا ؟**!**

كي أُعدِّدَ نيرانَها حين تأتي إلى حَيِّنا ؟**!**

أيُّ صَبٍّ أنا ؟**!**

يُرسلُ القلبُ قُبلتَهُ في الهواءِ سنونُوَّةً

كم عيونٍ تُطاردُها **!**

كم عُقابٍ تَفادى مُجاراتَها **!**

كم لُحونٍ هَفَتْ كي تُوقِّعَ نبضاتِها **!**

خِلتُ أنّي أَرى مَوْكباً من قلوبٍ يُرافقُها

حيثُ تمشي

فأدنو لأشتمَّ رائحةَ الياسمينِ

أَفَقْتُ على صوتِها حينَ لمّا أزَلْ

عندَ سطرينِ في صفحةِ البَدءِ ..

أوقَفَني عابساً :

وجهُ مَن في الكتابْ ؟!

تَرجيع أوّل

للحُزنِ أَوتارُ الكَمانِ

ولي فضاءاتُ التأسّي

في مُقارَبةِ اغترابي

قد تُصبحُ الخفقاتُ أَشرعةً

وريحُ الوجدِ تَدفعُها

لتسبَحَ في عُبابي

أو قَدْ يَصيرُ الماءُ أَشجاناً

تُداعبُ أَضلُعَ المَلّاحِ

كـي يَـدَعَ الحكايةَ فوق دفَّتِـهِ

تُحـدِّثُ عن مُنادَمـةِ الـمُسافر للرِّغابِ

للوَجْـدِ قُمصانُ الدمـوعِ

فهـل ستَلبَسُني قليـلاً

حيـن يَنثـرُ ذلك الموجوعُ أُغنيتيْـنِ

مـن زهـر الدمـوعِ على غيـابي ؟

سَهَـرٌ يُؤرِّقُني فتَشتعلُ المَواجـدُ

أيـنَ قلبـي ؟!

كنتُ ذا قلـبٍ رقيـقِ القلـبِ

تَسرِقُـهُ القصائدُ مـن رَصانتـهِ

فيَسبحُ فـي بحـار العشقِ

مَزهُـوَّ الشَّبـابِ

سَهَـرٌ يُؤَرّقُنـي

فأرسمُ في الدُّجى قمـراً

يُسامرُني قليـلاً

ثُـمَّ يغفـو فوق طاولـةِ الشَّرابِ

هـذا احتراقٌ أم هـو الإبحـارُ

فـي يَـمِّ الفَـراغِ

وقـد تَجمَّـعَ فيـه من كُلِّ الشواطئ

رملُهـا ؟!

والمِلْـحُ يَكتبُ للجراحِ رسالـةً

فأحـارُ : كيفَ أُفَسِّرُ الرعشاتِ

في صمـتِ الرسائلِ بالجَـوابِ ؟!

أَيكـونُ مَلهـوفاً إليـهِ ؟!

أليسَ يُؤلـمُهُ ؟!

لعلّـي بِـتُّ أَعـرفُ

بعـد هـذا الحُـزنِ

والسَّمَـر الـمُـؤرِّقِ

مـن يَـدقُّ علـيَّ بـابي ..

ترجيعٌ ثـانٍ

هـذا مَساءٌ مُوجَـعٌ

يَتنفَّسُ الآهـاتِ من رئـة المدينـةْ

عـرَقٌ يُفاجئُهُ وحيـداً في المَصحِّ ولا دواءْ

نَسَجَت عليـه العاديات ثيـابَ شحَّـاذٍ

يُفتِّشُ عـن رغيف الخبـزِ

مُنكسِرَ الخُطا

حيْـرانَ ، أو ظمـآنَ لا يرتـاحُ

تُمطِرُهُ العيـونُ بمـا يَخـافُ

وليس يُسعِفُـهُ نـداءْ

يا أيّها الوقتُ الـمُسافرُ في إهابِ الخوفِ

أَنظِرْنـي قليـلاً

كي أُرتِّبَ ما تبقّى في جُفوني من ضياءْ

أنـا لا أرى ..

كان السُّهادُ مُخارزاً والصَّمتُ يَفضحُني

أُغنّي ؟!

لا ..

ولكنّي يَنُوءُ بيَ البُكاءْ

هـذا مساءٌ راعشُ الأجفانِ

مُغتَرِبٌ

بَطـيءُ الخَطْـوِ

والطُّرُقـاتُ مثلَ الرمـلِ تَشربُـهُ

فتَشرَقُ حيـنَ يُولِـمُهـا أَنينَـهْ

هـذا مساءٌ مُوجَـعٌ

يَتَوسَّـدُ الآهـاتِ في سُرُرِ المدينـةْ

هـل مَـنْ يُطَمئنُـهُ قليـلاً كـي يُناجي

صوتَ أُغنيـةٍ ويكتبَ مـا يَشـاءْ ؟

ترجيعٌ ثالث

-١-

وهـل كنتُ أمشي على خيـطِ مـاءٍ

لكـي يَسرقَ الرملُ منِّي الطريـقْ ؟!

اَلحماقاتُ تَستلُّني مثلَ نَصْلٍ وتَطعنُني

أَهُـو الفَقْـدُ أم خيبـةُ الصوتِ

فـي غابـةٍ مُقفَلَـةْ ؟!

-٢-

إلـى أيِّ دربٍ ستَمضي بكَ الريـحُ ؟

يا أيُّها الغَيْمُ

عَرِّجْ على أرضنا مَرّةً كُلَّ شهرٍ

وقُلْ ما تشاءُ

الكلامُ الذي قُلتَهُ قَبْلُ

أخرجَنا من ثيابِ الرمالْ

-٣-

إنّهم يَذبحونَ الغزالاتِ

كي يُخرِجوا المِسْكَ من دمها ..

إنّهم يَحرقون النخيلَ

لكي يُخرِجوا الفحمَ من جذعهِ

للنراجيلِ تُلقي على شاطئ الروحِ قُطرانَها ..

إنهـم يَملؤون الفضاءَ دُخانـاً

فمَـنْ يُخرِجُ المـاءَ من يابسِ الصخـرِ

كي يُطفئَ النـارَ في جامحاتِ النِّصالْ ؟ ..

- ٤ -

يَمتطي الشِّعرُ مُهـراً ويُردِفُنـي

ثُـمَّ يَمضي إلى غابـةٍ عند نهـر الخيالْ

هـلْ تُراني أتيتُ لكي أَجمعَ الـوردَ

والأحرُفَ الـمُثقَلاتِ بما يُشبهُ الجَمْـرَ ؟

إنْ تُهـتُ في هـذه الأكَماتِ التي تَكتـمُ السرَّ

مَـنْ ذا سيُرشدُني كي أَعودَ إلى خُطوتي

فـي أعـالي الخيـالْ ؟

-٥-

أَسعى إلـى وطـنٍ

فيَهـربُ من خُطـايَ الدربُ

قـالَ اللَّيْـلَكُ :

الحُرّاسُ دربُهُـمُ لهـم

ولـيَ المَتاهاتُ الرحيبـةُ واللُّغـوبُ

أسعى إلى قَمَرٍ فيُطفأُ ....

إنّ للسُّلطانِ أقمـاراً

ولـي شَمْعٌ يَـذوبُ

لـيَ الغـروبُ

فـإذا تَمَـرَّدَ فـيَّ ما يدعونهُ قلبـاً

/ يُحـاولُ **/**

هـل يُصـادُ ؟!

أليس للسُّلطانِ أضلاعٌ لتخفـقَ

أو يَمُـرَّ بهـا وَجيـبُ ؟!

هـذا أنـا

وَعْـلٌ شَريـدٌ فـي السُّهـوبِ ،

أَكُلَّمـا حاولـتُ أن أَصطادَ قُبلـةْ

هبَّـتِ الريـحُ ،

البـلاطُ استلَّ سكِّيـنَ الفَقيـهِ

الـمُستحمِّ بمسكِهِ وإمائـهِ

وظَلامُـهُ الـمُتَوَقِّـدُ العينيْـنِ يَرمقُني

يُـؤَوِّلُ ما لـديَّ ؟؟**!!**

أَقُبلـةٌ يا بـنَ الـ **..** ؟؟**!!**

ويَـرتعدُ الكلامُ على الشِّفـاهِ

صَليـلُ أنفـاسٍ تُجرَّدُ **...**

هـل سيَجعلُني التلظّي

حيـنَ يعلـو

راضيـاً أَختـارُ قتلَـهْ ؟**!**

تقاسيم على قيثارة الروح

روايـة

ويُطِلُّ من صوت الحكايـةِ

وجـهُ بَحَّـارٍ

يُفتِّشُ عن لآلـئَ

فـي بحـار الـمُستحيـلْ

وأكونُ أسمعُ ما يقولُ البحـرُ

فـي مَتْـن الروايـةِ

ثُـمَّ أَكتبُ ما أَراهُ على شِفـاهٍ

منـذُ دهـرٍ

ليس يُدرَكُ ما تقـولْ

ولسوفَ يَقرأُ ما أَخطُّ

العابرُ المحزونُ

يَجلسُ

أو يُحاولُ أن يَفُكَّ الشَّمسَ

من أَسْرِ الأُفولْ

طيْف

-١-

على نخلةٍ قُربَ وَجْدي القديـمِ

تَـراءَت لـيَ

الوجـهُ **:**

هـل قَمَـرٌ يُشرِقُ الآنَ ؟**!**

والـمُقلتـانِ **:**

شراعانِ أم **...** ؟**!**

أيُّهـا البحرُ خُذني إلى جُزُرِ الحُلـمِ

والثَّغْـرِ

يا مُعجماً للحروفِ النضيراتِ والشَّهدِ

إنّــي ..

وأَعيا عـن النُّطْقِ

يـا أيّها الحِبـرُ دعني

علـى بُعْـدِ عينيْـنِ من نخلهـا

أَحرُفاً لا تَنـامْ

-٢-

شَجيٌّ أنـا خلفَ هذا الكلامِ

كأنّي أُواريهِ في بَسْمَـةٍ

مـن زمـانٍ بعيـدٍ

يُحمِّلُني كُـلَّ أيّامـهِ

ثُـمَّ يَتركني مُرهَقـاً في الطريـقْ .

شَجيٌّ

ولكنّني أَعشقُ الابتسامَ

أُعاقِرُهُ كلَّ يومٍ

على صفحةِ الكأسِ

أُقرِئُهُ ما تَناهى إلى مسمعي :

الابتسامُ على ثَغرها بَيْدرٌ

كيف أسمو إلى أُفقهِ نجمةً من عقيقْ ؟!

شَجيٌّ أنا

غير أنّي سعيدٌ

بما تتركُ النارُ في راحتي

في مَدى مُقلتيَّ

وفي آخر السَّطرِ

من أُغنيات الحريقْ

-٣-

كنتُ أُصغي إلى نَغْمـة الروحِ

مـن ريشةٍ مثل حرفَيْنِ

فـي خافـقٍ

حيـن مَرَّت على شُرفةٍ في البعيـدِ

صِغارٌ من الطَّيْرِ تشدو

تَوهَّمْـتُ أنّي أُرافقُها

نغمـةُ العُـودِ إضمامةٌ في يَـدي

هـل يَشمُّ الكلامَ الذي طيَّـرَت عطرَهُ

ذلكَ الشجرُ الـمُستضيءُ بفتنتِـهِ

عابقـاً ؟!

على صَهْوة الريح

-١-

أنَـا لـم أَكُـن أَسعى إليـكِ

وإنّما يَسعى إليَّ الوقتُ كي أَسقيهِ من خمري

فيَلعـبَ بالعقـولِ

ما كنتُ مُحترفاً غنـاءَ الزمهريرِ على النوافذِ

غيـر أنَّ البَـرقَ بَدَّدَنـي

وشالَتْني الرُّعـودُ على كواهلهـا

ولكن

لـم تُطِقْ يوماً فُضولـي

كـم كنتُ أَسألُها :

لمـاذا حينَ تَحتفـلُ السمـاءُ

بمـا تُجمِّـعُ مـن غيـومٍ

تَخلَـعُ الومضاتُ ثـوبَ اللَّيـلِ

كـي تَـرِدَ الخيـولُ ؟

فـلا تُجيـبُ

فأنحني أَسقي خيولـي ...

لا الريـحُ تسأَلُني إذا ما كنتُ أَرغـبُ

فـي الرحيـلِ إلى جزائـرَ من يَواقيتٍ

ولكن تَحْتفي بمراكبي بعد الوصولِ

وتَلُـمُّ ما جَمَعَت يـدايَ من اللآلـئِ

ثُـمَّ تَذْروهـا هَبـاءً

حيـن أسالُهـا : لمـاذا ؟!

تكسرُ المجـذافَ

تَطويني قليلاً ثُـمَّ تَنْشرُني

فأفقدُ ما تبقّى من نجومٍ تقتفي جهةَ الصُّعودِ

إلـى مراكـبَ حُمْـنَ حَوْلـي

-٢-

هـي ذي جذورُ الغابِ تَهجرُ أرضَها وتَفـرُّ

لا مـاءٌ هنـاكَ ولا هـواءْ

هـي ذي أَغـانٍ تَتركُ الكلماتِ يأسرُها الخُـواءُ

فتشتهي ريشاً

تُحلِّقُ ..

صَمْتُها سَلَبَ الطيورَ نشيدَها

فَغَدَتْ تُحلِّقُ ..

هل ستَقبلُها السماءْ ؟!

بيضاً

كأنَّ نوارسَ الأنغامِ تفتحُها كتاباً

هل تُرى كَتبَ الرحيلُ قصيدةً زرقاءَ

فوق العَيْنِ

أحرفُها خيوطُ الغيبِ

فالتأَمَت وفودُ مواكبِ الأصداءِ

تأنَسُ بالنِّداءْ ؟!

-٣-

ويكونُ أن تَنسى القبائلُ ما تبقّى من خيولِ ..

ويكونُ أن تَشتقَّ من فِعْلِ الجَفافِ

جميعَ أسماءِ الفصولِ ..

ويكونُ أن أسعى إلى كتُبٍ

سيُغرقُها المغولُ غَداً

وأرثي ما تَبعثرَ من غَماماتٍ

على وشكِ الهُطولِ ..

هل إنْ كتبتُ على جدارٍ ما سأفعلُهُ غداً

يأتي إليَّ جنودُ من كانوا يَصيدون الحَمامَ

ويقطعون السنديانَ

كأنّهم حُمَمٌ ستمحو ما تبقّى من كتابَةْ ؟

فتجفُّ أُغنيةٌ على شفَةِ السواقي

تحت أوجاع السَّحابَةْ ؟

وَيَنُوءُ في درب الوُعورةِ شاعرٌ

بالأحرف / النبضاتِ مُنتعِلاً مُصابَهْ ؟

هذا حديثُ الريحِ يُقفِلُ دفترَ الومضاتِ

يَشطبُ ما تَجَمَّعَ من قصائدَ

يَلْفَحُ الطفلَ المُعلَّقَ باليديْنِ

على قميص اللَّوزِ

يَلْفَحُني

يَطولُ اللَّيلُ

تَقْصُرُ أَذرعُ الأضواءِ

تَسألُني عن الأُفُق المُجَرَّحِ

بالأفولِ ..

مثل طَيرٍ على شجرٍ

مثلَ طيرٍ على شجرِ الكستناءِ يُغنّي

أتيتُ ، وكانت مساءاتُنا من غُبارٍ

توضّأتُ

أو قُلْ تيَمَّمتُ

ثُمَّ انتحيتُ مكاناً لهُ صورةٌ في الغيابِ

وصلَّيتُ

قالوا : هو الوقتُ من ياسمينٍ

فحلَّقتُ في قُبَّةٍ عند باب الحديقةِ

أَوصيتَ أن تُتركَ النافذةْ

شِبهَ مفتوحـةٍ

كـي تَرى وجههـا

وهـي ترمي إلى الشارعِ الورَقَ الـمُنتَقى

دفتـراً دفتـراً

هـل حزنـتَ على حبركَ الـ ضـاعَ

فـي الأحرُفِ العائـذةْ ؟!

مثـلَ عُمْـرٍ يُبَـدِّدُهُ تـائـهٌ بين رسميْـنِ

عاصمـةٍ تَستظلُّ بنخلتِهـا الذابلـةْ

وعاصمـةٍ تَستبدُّ بهـا الأرجلُ السودُ

غادرْتَهـا يومَ جاؤوا إليهـا

علـى خيـلِ أبنائهـا رافعينَ بنادقهم

-٢٠٢-

قُلْتُ : هـذا خيـالٌ من الظـلِّ

شاهدتُـهُ ذاتَ حربٍ على شاطئ البحـرِ

ما بينَ خيـلِ الفرنجـةِ

والنخـلِ في ساحـةِ الحالميـنْ

مَـن تُرى يَرسمُ الآنَ وجهـاً

علـى وَجْنـةِ المـاءِ

يَسعى إلى ضفّةٍ لوَّنَتها أصابعُهُ الناحلـةْ ؟

مَـرَّت الأرضُ وَجْلـى

وقـد أَيْنَعَـت في رُباهـا ذُراً

قـال شيخٌ لـهُ ألفُ عامٍ من العُمْـرِ :

هـذا الدليـلُ على موتهـا

قلـتُ : يا سيّدي الشيـخَ

إنّ ذاك الذي أصبحَ القتـلُ مهنتَـهَ

كـان مـن زمَـنٍ بـادَ

- لا .. يا بُنـيَّ

تَجـاوَزَهُ المـوتُ

بـل إنـهُ المـوتُ فـي

هيئـةٍ عاقلـة ..

مُحـاولات

كَبِدايـةٍ أولـى

تُحـاولُ أن تُبَعثِـرَ ما تَجمَّـعَ

فـي الطريق من الكـلامِ

فتُصِـمُّ أُذنـاً عن حديث النَّـاسِ

والأُخـرى تُفتِّشُ عـن سَـلامِ

وتكونُ بينهمـا مسافةُ أن تَشُـدَّ إليـكَ

أصواتـاً تُلَـوِّحُ كالأصابعِ

مـن شبابيكَ استباحتها الستائـرُ

فاستبدَّت باليمـامِ

كبدايةٍ أُخرى ستَسأَلُ :

عندما لا ماءَ يجري في السواقي

عندما لا خبزَ في التنُّورِ

لا بلدٌ يَضمُّكَ حينَ تَبْردُ

لا سماءٌ كي تُظِلَّكَ حينَ تَسهَدُ

لا مَنافٍ كي تَلُمَّكَ حين تَشرُدُ

هل ستَستجدي هواءً كي تعيشَ

ولا هواءٌ مُطلَقٌ يَنسابُ ؟!

تلكَ مدينةٌ سَجَنتهُ في قَبْوٍ صغيرٍ

تحتَ أشلاءِ الرُّكامِ

كبدايةٍ أُخْرى

تُوَزِّعُ ما جَمَعْتَ

علـى الصِّغـارِ

تَبُثُّ في أيّامهم فَرَحـاً جديـداً

مُفعَمـاً بـالحُبِّ والصَّلواتِ

كـي يجدوا الطريقَ إلى القراءةِ

والكتابـةِ في مَدارسَ كالغمـامِ

يَهمـي إذا ركضوا

ويَهمـي إذ ينـامُ الليلُ في أحداقهـم

ويَظلُّ يَرقُبُهـمْ بعينَيْ فُلّـةٍ

تنمـو علـى صحْـوِ الأسرّةِ

كالمَنـامِ

وجمعتُ ما نثَرَ الكلامُ

-١-

وجَمَعتُ ما نَثَرَ الكلامُ على طريقي

من نجومِ

أُوصلتُها للبيتِ ناحلةَ الأصابعِ

مُرهَقاتِ الضوءِ

مُثخَنةً

أُضمِّدُ جُرحَها بالدفء والقُبُلاتِ

تَأْنَسُ بي

فتمنحُني شَفيفَ الضوءِ

كـي أَجْلُـوَ في صمتٍ نديمـي

أَوَ كُلَّمـا احترقَتْ عصافيرُ القصيدةِ

أطلقَـت شفتاكَ هـذا الصوتَ ؟!

هـل ولدتكَ أمُّكَ في إنـاء الحُزْنِ

كي أَرِثَ المواجعَ كُلَّهـا ؟!

وتَنُـوءُ بالأصواتِ .. بـي ..

هـذي القصيدةُ رعشةٌ

أَيَطيـرُ بـي هذا الكلامُ إلى مَداهـا

كـي أُجمِّـعَ ظلَّهـا

ريشاً لعصفورٍ يُحاولُ أن يطيرَ إلى السمـاءِ

كمـا الغيـومِ ؟

-٢-

هُـو وجهُكَ المزروعُ في عينـيَّ

لـمَّـا يُكمِلِ الـدَّورةَ

حتـى خِلْـتُ أنّي بضعةٌ منـهُ

اشتهاني كوكـبٌ

فانسابَ في صمتٍ ومَـدَّ الكَـفَّ

داعبَني قليلاً ثُـمَّ غـابْ

هـلْ كان حُلمـاً ؟

رُبّمـا ..

وأَخَذتُ أَعبُرُنـي لأتبَـعَ خَطْـوَهُ

فأضيعُ بين جناحيَ المكسورِ

والقلبِ الـمُصابْ

لا مـاءَ **...**

هـل أَروي غليلَ العشبِ في جسدي

بمـا أُوتيتُ مـن بَـوحٍ

فأَدخُـلَ فـي السحـابْ ؟**!**

يَجـري السؤالُ على يـدي مـاءً

فأجـري خلفَ نهرٍ فـاضَ مـن

عينَيـنِ زرقاوَيْـنِ خلفَ التـلِّ

كنتُ إليهمـا أسعى قُبَيْـلَ الصُّبحِ

لكنّي أَضعتُ الدربَ منذُ تساقُطِ السنواتِ

في خَطْوِ السرابْ

-٣-

للوقتِ أَذرُعُهُ القصيرةُ والطويلةُ

عينُهُ الحمراءُ تَرْمُقُنا

فنَذوي مثلَ سوسنتين

فوق ستائر الشُّبَّاكِ

مُغترِبَيْنِ في حقلٍ نبتْنا فيهِ

أغنيةً ولحْنا

للوقت أحرفُهُ الرهيفةُ .....

قال لي :

اِقرأ كتابَ الصمتِ واجتنبِ الكلامَ

هُنا الحمامةُ وردةٌ بيضاءُ

تَهدلُ أو تَنوحُ

الماءُ صادرهُ اليَبابُ

عليكَ أن تأوي إلى رحِم الحكايةِ

حيثُ كُنّا ..

لـم يَبْـقَ سواك

لـم يَبْـقَ سواكْ

كـي تَرتُـقَ هذا الفَتْـقَ الـمُتَراكضَ

فـي أجسادِ النُّدَمـاءِ

الأيـامُ تَمـرُّ سريعـاً

ما بين لُهـاثِ الصُّبح وبيت اللَّيـلْ

لـم يَبـقَ سوانـا

نتجوَّلُ مَهمومَيْنِ على الأسطحة الحَدْبـاءِ

نُدخِّـنُ كي ننسى أشكالَ التنّيـنِ

فتغمرُنـا الأصواتُ بما يُشبهُنـا

هـا أنتَ جريحاً تتألّـمُ

نافـذةٌ في آخـرِ بيـتٍ

تَتَفَقَّـدُ أفراخَ البـطِّ فُوَيْـقَ البركـةِ

والقـطُّ يُوَصْوِصُ

عينـاهُ كثُقبيَـنِ صغيرَيْـنِ على أهدابِ الويْـلْ

مَـن تلكَ البنتُ القادمةُ من الحيِّ الشرقيِّ ؟

تمَغَّـنْ في مشيتهـا

هـل تُشبـهُ أُختَـكَ ؟

لا تَشتُـمْ ...

دعْنـا نَتوقَّـفْ عنـد حُـدود الشفتَيْـنِ

وإن شئتَ استثمِرْ أوقاتَـكَ

وارسُم خدَّيْهـا في أهدابِ العَيْنيْـنْ

ها أنـا ذا أَتفقَّـدُ خُصلتَهـا

هـل أَعثـرُ بين ضفائرهـا الشقراءِ

عَلَـيّ ؟!

هـل أَخبرتُكَ أنّـي قـد ضِعْـتُ صغيـراً

ما بين سطور كتـاب التاريـخِ

وصيحـاتِ ديـوكِ الحـيّ ؟

هـل أُخبِرُكَ الآنَ بأنّـي ترجَمْـتُ غَنـاءَ

عصافيـر الدوريِّ قديمـاً

وطبعـتُ كتابـاً يَتحدَّثُ عنهـا

أو عنـكَ وأنتَ تُطاردُهـا ؟

هـل تَذكـرُ ؟

لـم يبـقَ سواكَ يُذكِّـرُني إن شِخْـتُ

كأنّي لا أقدرُ في هذي اللحظةِ

أن أَخطوَ من دون عصايْ !

علِّمْني كيفَ نَسَجْتَ على القصبِ المزروعِ

على شُرُفات النبعِ حنينَ النايْ

علِّمني ...

ما زلتُ نجيباً كي أفهمَ

كيف تصيرُ الهمساتُ يماماً

ورسائلَ تُقرأُ في حفلات الشايْ

قد أَكسرُ يوماً ميزانَ الشِّعرِ

لأُخرِجَ من مُخِّ عظامِ الأوزانِ عنادلَ

أُقرِئُها منكَ سلاماً

وأحاديثَ عن النخلِ المُحترقِ حديثاً

فـي بغـدادَ

يَمـرُّ النظّامونَ عليه ويُفتـونَ

بقطـعِ الأعنـاقِ ....

* رُوَيْـدَكَ ..

مـا دخلُ الشِّعرِ بقطـعِ الأعنـاقْ ؟!

أَوَ يَغرقُ هـذا العالَـمُ في جُـبٍّ

رسَمَتْـهُ عَجـوزٌ في دفترهـا

كـي يَسبُرَ أغوارَ الأعمـاقْ ؟!

- قـد تعلَـمُ في زمـنٍ آتٍ

أنَّ المـاءَ سيُشنَقُ في السـاحـاتِ

ويُصلَبُ حتى في عُمـقِ الأعمـاقْ ..

لا تهربْ من تفسيرِ فلاسفة العصر النوويِّ

الأيّامُ تمُرُّ سريعاً

والقنبلةُ الموقوتةُ

انظرْ كيف تسيرُ ببطءٍ

ما بين الوطن المشدود إلى الساحات

وأشجار المَنفى

لا تعجبْ إن قلتُ حديثاً يَتَطايرُ منه البِلَّورُ

وقطعانُ الأشباهِ

وأصواتٌ مثلُ عَزيفٍ في اللَّيلِ

تُفَتِّشُنا صَفّاً صفّا

وتُشتِّتُنا صِنْفاً صِنفا

ما أنتَ هزارٌ كي تصدَحَ فوق رموش الصفصافِ

وتَنْقرَ شُبَّاك البِنْتِ

قُبَيْلَ مُرور النهـر المرسومِ على الجدرانِ

يُوزِّعُ أسماكَ السلمونِ

ويدعـو للصبحِ المطعـونِ ليُشفى

أَصواتُ فَحيـحٍ تَتوقَّـفُ آنَ تجيءُ

فمَـن ذا يَتبعُني ؟

ما كنتُ لأنسى أنّ ليالينـا في الشرقِ

نُعاسٌ يَتفقَّـدُ أحوالَ الملّاحيـنَ

ويَملؤهـم بالصَّحْوِ

فيجتمعـونَ فُرادى خلفَ الأسوارِ

مَراكبُهـمْ تتآكلُ عنـدَ الشُّطآنِ

فمن ذا يَسألُ عنهـمْ في هذا الزمنِ المَجْذومْ ؟

مَـن يَقرأُ ما كتبـوا فـوق الجُدرانِ

ومـا رسموا ؟ :

شُطـآنٌ ومرافـئُ

قيثارٌ للوجَـعِ البحـريِّ

مَراكبُ من خشبٍ كم مالَ إلى الأضواءِ

يُحدِّثُها عن زمنٍ قاتَـلَ فيـه

جيـوشَ الـرومْ

من هُنا يعبرُ الصُّبحُ

مـن هُنـا يَعبُرُ الصُّبـحُ ..

كُنّـا على مَوعـدٍ

جَمَّعَتنـا الحكاياتُ في ليلـةِ الحُزنِ

حَشْداً من البشَرِ الطيِّبيـنَ

الأحاديثُ جاءت على مَهَـلٍ تَنْسِلُ النـومَ

مـن أَعيُـنٍ جال فيها ظلامٌ فبدَّدهـا ...

مـن هُنـا يعبُرُ الصبحُ ..

هـل أصبحَ الانتظارُ طريقاً إلى النـومِ ؟!

حتى المَدى ضـاقَ

والرأسُ مالت على جذعهـا .

تبحثُ الكأسُ عن جَـرَّةٍ ..

والقناديـلُ عـن قَطْـرةٍ

والطُّفولاتُ عـن حَلمـةٍ أو سريـرٍ

هُـوَ الليـلُ يَغشى ..

إلـى أين نمضي

ولا دربَ يَمنحُنـا خُطوةً للأمـانْ ؟!

مـن هُنـا مَـرَّ رَكْـبٌ ..

يقـولُ الأَشقّـاءُ :

كانت على رأسهِ غيمـةٌ

لوَّنَتهـا شقائقُـهُ

أعيُـنٌ من نجـومِ النَّـدى فوقهـا

ترسمُ القمـحَ

مَـنْ يقرأُ الغيـمَ في قُبَّةٍ جلّلتها يـدٌ بالدّهانْ ؟!

كـم يقـولُ الأشقّـاءُ !

لكنّنـا لا نرى غيـرَ أقوالهـمْ

فـي الطريقِ تُطاردُنـا نحوَ أفعالهـم

لا نرى غيـرَ مـاءٍ يُـراقُ علـى الرمـلِ

رمـلٍ يُهـالُ على الماءِ

جسرٍ يُكسِّرُهُ العابـرونَ

عيـونٍ تُراقبُنا حيثُ سارت بنـا الأرضُ

يا أيُّهـا الصُّبحُ هـل ضيَّعَتْكَ الدروبُ إلينـا ؟!

أمْ أنَّ ليـلاً يُصادرُكَ الآنَ ؟!

قالـوا ...

ولكنّهـمْ جَـدَّدوا السُّـمَّ في جَعبـةِ الأُفعُوانْ !

من هنـا فتَّـحَ الصبـحُ يومـاً أزاهيـرَهُ

فـاضَ فـي الأرضِ

حُبّاً وقمحـاً

سلامـاً يَمـرُّ على وَجْنَـةِ الطِّفـلِ

غيثـاً على ذابلاتِ النفـوسِ

احتفـالاً على وجنـةِ المهرجـانْ ..

مـن هنـا يَعبـرُ الصبـحُ

لا بُـدَّ

قُلْنـا سيأتي غـداً صاعـداً من دمٍ يانـعٍ

مِـنْ شرايـيـنِ زيتوننـا

مـنْ تُـرابٍ يُعلِّمُنـا حكمـةَ الأرضِ

نهـرٍ يُعلِّمُنـا حكمـةَ المـاءِ

حـرفٍ يُعلِّمُنـا حكمَـةَ اللَّـونِ

فـي زهـرةِ الأُرجـوانْ ..

نموتُ لتحيا

وقُلْتُ : إذا غِبْتُ يا حُلْوتي

ذات مَوتٍ

ستتركُني أُمّتي في الطريق إلى ظِلِّها

مَوتُنا مَوتُها

مَوتُها فيه شيءٌ من الحُبِّ كيما تعيشَ

ونأسى إذا ما استراحت إلى مَوتها

إنّنا إنّها

والسَّماءُ التي تَملأُ بالحُزن أفئدةَ الساهرينَ

استمدَّت قناديلَها

من دماء المِهارِ التي أُهدِيَت للجحيمِ

وللناسِ شأنٌ إذا ما أرادوا الوصولَ .

استقَلْتُ من الموتِ يا حُلوتي

حين مات الجميعُ

وهلَّلْتُ من أجل رُمّانةٍ

فاض من مُقلتيها النَّجيعُ

تقدَّمتُ للموتِ كي لا يعودَ إلى الخلفِ

هذا النِّداءُ البَديعُ

وها أنتِ في ملجأٍ تحتَ سقف النخيلِ

تمنَّيتُ أن ألتقيكِ قليلاً

على ضفَّة النهرِ

في **الشَّامِ** أو في **الخليلِ**

على شاطئٍ عندَ بَنْزَرْتَ

أهـواكِ إن قُلْتِ :

هـذا الجنونُ

وأهـواكِ إن قُلْتِ :

هـذي المَنونُ

وأهـواكِ إن مـتُّ يومـاً

على بُعـد عُمـريْن من عُمْرنـا

كي نكونَ وحيدَيْـنِ يَغمرُنـا الياسمينُ

وأهـواكِ حتّى انطفـاءِ الكواكب

خلف الشرايينِ

أَهْـذي ، وأعلـمُ أنّي سأَهْـذي ،

إذا صرتِ لي حُلُمـاً لا يكـونُ

تَوضّأتُ يوماً وصلَّيْتُ

كانت مآذِنُنا ترتـدي

بُـردةً مـن حريـرٍ

عقـالاً من القصبِ السَّامريِّ

وكُنّـا عُـراةً على الـدربِ نمشي

تَمُـرُّ بنـا في الفَـلاةِ القوافلُ سُوداً

علـى العِيـرِ أَشباهُنـا

ثُـمَّ نمشي

وتتبعُنـا في الطريـقِ الطُّلـولُ

تُفَتِّشُنـا واحداً واحـداً تَلْكُـمُ الصافنـاتُ

ومـن ثَـمَّ تَمضي إلى حيـثُ

تَمضي الخيـولُ

سَعيدَيْنِ إلاّ من الحُزنِ لا نستقيلُ

بعيدَيْنِ عن واحةِ المُشتَهى

جَدَّدَت عُرْيَنا في الكثيبِ

المُغَلَّفِ بالملحِ

قالت لنا الأحجياتُ :

استعِدّوا

أتى الرومُ من خلفكمْ

والأمامُ الذي كان في دربِكُمُ

مَلَّ هذا الضّياعَ الذي صاركم

هاهمُ الرومُ قُدَّامَكم

فاستمدّوا قِواكم من الأنجُمِ البيضِ

في سِدرةِ المُنتَهى ..

عُـراةً على القيـظِ نمشي

ولا ظـلَّ يَمنحُنـا الرمـلُ

بغـدادُ قالت لـ **.... بغـدادَ :**

أُختـي

تفاديـتُ أن ألتقيـكِ ولكـنَّ

لا بُـدَّ مـن ذا الذي منـهُ بُـدُّ

والمغـولُ الذيـن أغاروا على **بابـلٍ**

كـم يَضـجُّ **الفـراتُ** بأجسادهم ؟**!**

أيَّ وقـتٍ هذا الذي نلتقي فيـهِ

يـا أخـتُ ؟**!**

مـوتٌ علـى كُـلِّ مُفتَـرَقٍ

فـي البيـوتِ

ومَقبـرةٌ في الطريـقِ

السُّجونُ التي كان حارسُها فارساً لا يُفَـلُّ

استبَدَّ بها الوحـلُ

حتـى استقـرَّت على مدفَـنٍ

والغريـقُ الذي صـاحَ

أحنـى على صمتهِ **دجلـةُ** الحِبْرِ

ثُـمَّ انتبهنـا إلى صوتـهِ في الرثـاءْ

لـم يعُـد في الفؤاد مكانٌ لكي يَجلسَ الطفـلُ

يَتلـو ،

وآيـاتُ قرآنـهِ أَجهشَت بالدعـاءْ

لـم يَعُـد فـي المكانِ فُـؤادٌ

لكـي يَخفقَ الآنَ في **غـزّةِ** الشُّهَداءْ

-٢٣٣-

إنَّهـم يَقتلـون العصافيرَ ،

قـال « الأشقّـاءُ» في قلعـةِ **النيـلِ**

ثُـمّ استعدُّوا لكي يجمعوا الريشَ

فـي **«شرْمِ شيخِ»** الـ **...** بُكاءْ **!!!**

كيف لي أن أمُـدَّ اليديْـنِ إلى أُختنـا

فـي أقاصي الـمُحيـطِ ؟**!**

إذا الريـحُ هبَّـت شَمالاً

نعـودُ إلى الخلـفِ كي نحميَ الأضرحَةْ **!**

كيف لي أن أَصُبَّ لكِ المـاءَ كي تَشربي

والينابيعُ قـد أصبحَـت من قرابيننا

مالحـةْ ؟**!**

لـم أعُـدْ أذكرُ الآنَ ما قلتُـهُ البارحـةْ **!**

إن أكُـنْ مـتُّ

قولـي لأطفاليَ القادمينَ : استراحَ

وإن عشتُ قولـي لهـم :

كان يغفو على ساعدي ساعةً

ثُـمَّ يَمضي إلى خَنْـدقٍ

حيثُ كنّـا معـاً نحفـرُ الأرضَ

كـي نُخرِجَ المـاءَ

ظَمْـأى إلى عَذْبنـا كانت القُبَّـراتُ

الوعـولُ التي رافقَتنـا طويـلاً

وذاك النَّبـاتُ ..

وحيـدَيْـنِ كُنّـا إلاّ من الحُلْـمِ

تَسعى إلى دربنـا

/ رغـم هـذا الدمـار /

الحيـاةُ

أمـوتُ إذا جئـتِ يومـاً لأحيـا

ويَمشي إلى نجمتي في البعيـدِ

الرُّفـاتُ

أنـا أنـتِ يا حُلوتـي

حيـن نبقـى معـاً

كـم ستأوي إلى صدرنـا الكائنـاتُ !

أنـا أنـتِ يـا أُمَّتـي

حيـنَ نبقـى معـاً

كـم ستُرهِبُنـا العاديـاتُ !

على شاشة الحيـاة

مشهد ١

أَعْـوادٌ تَتفقَّـدُ أحـوالَ الأوتـارِ

وَأصداءٌ تَتـأوَّهُ تحتَ سِيـاط الريـحِ

شِفـاهٌ تَتَهـامسُ كي تُزجي الوقـتَ

وأُغنيـةٌ قَمْـراءُ تُحـاولُ أن تَخْـرُجَ

مـن ثُقـبٍ في البـابْ

مشهد ٢

أَهـدابٌ تَتَراكمُ فوقَ عيونِ اللَّيـلْ

-٢٣٧-

بَحّـارٌ فـي عُـرضِ الظُّلُمـاتِ

يُحـاولُ أن يَنسُجَ أَشرعـةً

لمراكبَ تَرْسُـو

فـي حَلَبـات الخيـلْ

مشهد ٣

غزلانٌ تَتسامرُ تحتَ ظلالِ النخـلِ

وأَشجارٌ تتزيَّـنُ كي تَحضرَ أعراسَ الطَّيْرِ

سَواقٍ تَتَـأوّدُ راقصةً بين الأعشابِ

غَـزالٌ يَتقـدَّمُ كي يَشربَ

والأمُّ تُراقبُـهُ

هـل تَقرأُ أشباحـاً تتأهَّـبُ

خلف جدار الخـوفِ ؟!

عيونـاً تترصَّدُ كُلَّ صغيـرٍ ؟!

أنيابـاً يَشحذُها في الدِّغْـل ذئـابْ ؟!

مشهد ٤

أَطيـافُ رمـادٍ تتحدَّثُ غافيـةً

عـن أيّـام العنقـاءْ

مِصباحٌ يَتَثـاءبُ فوق دِنـانٍ

في قبْـوِ العُمْـرِ

ميـاهٌ يَتنقَّـلُ حاملُهـا

ما بين الجَـرَّةِ والنهـرْ

أفكارٌ تترنَّحُ باحثـةً عن نقطة حِبْـرٍ

أو قَطْرةِ ماءْ

أَفعالٌ تتآكلُ في كُتُبٍ ودفاترَ

تَحترفُ الأسماءْ

مشهد ٥

مَن يَنْقُرُ شُبّاكي في عَتْمةِ هذا الوقتِ

المُتآكلِ في أقدامِ الطُّرُقاتِ

المرسومةِ في الرملْ ؟

مِنقارٌ أم إصبعُ مَكْلومٍ

أم أَحرفُ مُشتاقٍ جاءت تَسألُني

عن معنىً ضيَّعَها

في أرض المَحْلْ ؟!

أم فـَرْخٌ أَعْـوَزَه الريشُ

أم الوهْـمُ ؟!

الشُّبَّاكُ حزيـنٌ كابيـةٌ أَعيُنُـهُ

ناحلـةٌ أضلُعُـهُ

وبقايـا البِلَّـور مرايـا

مـن زمـنٍ نـاءَ على الأَعتـابْ ؟!

مشهد ٦

تَتكسَّرُ أخشابُ المسرحِ تحت الأقـدامِ

نَشيـجٌ أعمى يَتلمَّسُ مقعدَهُ المكسورَ

بَريـقٌ يَخترقُ القـاعةَ كالرُّمـحِ

سُكونٌ يَسْتوطنُ أضلاعَ الحركاتِ ويغفـو

فـي حضـنِ الصـوتْ

هـل أَسمعُ صوتـاً ؟!

هـل ألمحُ طيفـاً لنداءٍ يَتَسلَّلُ

كالحُلـمِ رشيقـاً

يُخرجُنـي

مـن بطـنِ الحـوتْ ؟!

مشهد ٧

عُصفورٌ يَخرجُ من حضن البيضةِ

مَوْفُـورَ الشَّـدْوِ

يُرفـرفُ

والريشُ كأوتارِ القيثارةِ مَشغولٌ باللَّحْـنِ

-٢٤٢-

أراهُ

وأسمعُ أَصداءَ الأَنغـامِ

فأَفتحُ أبوابَ القلبِ ليَدخُلَ منهـا

بإهـابِ سُهَيْـلْ

عُصفورٌ يُشبهُني

يَتَسلَّلُ من نافذتـي

مُنطلقاً نحو نِـداء الفجـرِ

جَناحـاهُ مـن الشِّعرِ

وعينـاهُ مـن الرؤيـا

والقلـبُ دليـلْ ..

العـائد

-١-

مِـن بعيـدٍ أتـى

حاملاً في يَديْـه القناديلَ مُطفـأةً

قـال :

أَطفأَها الساهرون على ضوئها

حيـن داهمَهم ذاتَ خوفٍ غُـزاةُ

مِـن بعيـدٍ أتـى

وجهُـهُ نصفُ إيماءةٍ نحو ضوءٍ نحيلٍ

-٢٤٤-

يُحاولُـهُ

قيـلَ : ضاقـت بـه الـدربُ

طارَدَهُ الوحشُ في غابـةٍ

ضاع في ظُلْمتَيها الهُداةُ

قال لي حين لـمّا يجِد في الطريق سوايَ :

إلى أيـن يَلتفتُ النَّـاسُ

خاطبتُهم ، ثُـمَّ لَوَّحْـتُ

لـم يَسمعوني

ولـم يَشهدوا أذرُعاً في المَدى تَستغيثُ

إلـى أيـنَ أعينُهم تَنْظرُ

الريـحُ تَـذْرو مواسمَهم والحُـواةُ ؟!

إلى أين يأخذُهم ذلك الوهمُ ؟!

- يا سيّدي

أَصبحَ الوهمُ حارسَهم من عيونِ السماءِ

التي يرهبونَ كواكبَها

أن تُزيلَ الغشاواتِ عن ليلهم

قالَ لي :

قد يُفيقُ الرُّفاتُ

-٢-

قَبْل أن يُغلِقَ البابَ

أَوصى بأن يُتركَ العُمْرَ

في قَبْوِهِ صائماً عن كلام تُعذِّبُهُ

نغمـةُ الهَجْر في وَقْعِـهِ

كـان يدعو إلى بيتـه الأصدقـاءَ

يُغنُّـون أشعارَهم

يَحلُمـونَ

ويبكون في سرِّهم حين ينأى بهم هاجسٌ

عـن لقـاءٍ يُريدونَـه

كـم سيهجـو

/ إذا ذَكـرَ البُعـدَ /

هجرانَهم بَغتـةً !

كـم سيأوي إلى جمـرةٍ

تَبْعثُ الدفءَ في قلبـه !

كـم سَيَحنـو على الذكرياتِ الثَّكالى

وقد حار في أمرِها يوم غابَ

الثِّقاتُ ؟

-٣-

قد يُغنّي قليلاً على صخرةٍ

ثُمَّ يأوي إلى كوخِهِ

يَرشفُ الماءَ من قُربَةٍ ذابلةْ

قد يُغنِّي

ولكنّه لا يُغنِّي هوىً لن يعودَ

يُغنِّي ويَذرفُ أيّامَهُ الناصلةْ

قد يُغنِّي

ولكنّه يَكتُمُ الصوتَ في حَلْقِهِ

غُصَّةً هائلـةْ

أيُّ لحنٍ هذا الذي يَجعلُ الأغنياتِ أنيناً

ويُدخِلُها في حقول البكـاءْ ؟!

أيُّ لحـنٍ سنقطفُـهُ

حيـن نشتاقُ أن نلتقي الأصدقـاءَ

ولـو بُرهـةً ،

فـي شِعاب الجَفـاءْ ؟!

قـد نُغَنِّـي

ولـو بُـحَّ من حولنـا

صـوتُ أولئك السادرينَ

ولـو أَرسلوا الليلَ والعَسَسَ «الطيِّبينَ»

لكي يُكتَـمَ الصوتُ في أُمنيات النـداءْ

- ٤ -

ليس لي غيرُ ليـلٍ وَبِيـدٍ

وجَمْهَرةٍ من صِغار القَـطا

فارقَ النومُ أجفانَها في ليـالٍ طِوالْ

ليس لي غيرُ ماءٍ على أُمنيات السَّحابِ

يَـراعٍ يُكلِّلُـهُ الشوكُ ظمآنَ

عُمْـرٍ من التِّيـهِ في عالَمِ الحُلْـمِ

يأوي إلى غيمةٍ في أعالي الـمُحالْ

مَـن سيُؤنِسُني والمَدى ضيِّـقٌ ؟ ......

فـاتنٌ صوتُـه العَـذبُ ،

يُبعدُني عـن لَمَاهُ الصدى

فـاتنٌ لحظُهُ الرَّحْـبُ يَحرمُني

من مَـداهُ العِـدَا

مَـن سيُدنيهِ من خافقي كي يَرى نبضَهُ

حـائراً في كروم الخيـالْ ؟

-٥-

هـل سيسألُني البحرُ عن موجـةٍ ضائعـةْ ؟

حيـن آتي إليـهِ

أَيسألُني عـن

مَحـارٍ يفـرُّ إلى شاطئٍ في الدُّجى ؟

نَوْرسٍ هـامَ في غابـةٍ هاجعـةْ ؟

مَركبٍ يَسبرُ العُمْقَ كي يَقرأ الـدُّرَّ

بَحَّـارةٍ يَدلفونَ إلى قاعةٍ فيه كالنحلِ

حُوريَّـةٍ أَغرقَتهم زمانـاً

وتُغرقُهم كُلَّ وقتٍ يَجيئـونَ

كـم يحلمونَ بهـا نجمـةً يانعـةْ !!

هـل سيسألُني عن شراعٍ تُعاندُهُ الريـحُ

يَجري إلى غايـةٍ

ليس يُرهِبُـهُ المَـدُّ والجَـزْرُ

والسُّفنُ الخاشعـةْ ؟

رُبَّـما مَـرَّ بـي صوتُـهُ :

قُـمْ معي أيُّـها الصَّبُّ

كيما نُدوِّنَ أشعارَنـا الـمُشرِقـاتِ

علـى صفحةِ الكَـونِ

مـن فُسحـةٍ سابعـةْ

-٦-

هـل ستَنسى أحاديثَنا غابـةُ الأَرزِ يا صاحبي

حيـن نَمضي إلى غامضٍ ؟

هـل ستَنسى مَواجعَنـا

ذلك الضوءَ طافت كواكبُهُ حولنـا ؟

ذلك النبضَ جيشاً من الحُبِّ نتبعُـهُ

نحـو فاتنـةٍ في عيـونِ السمـاءْ ؟

هـل سيَذكرُنـا النَّـاسُ

والشجرُ الـمُستنيرُ بأزهارنـا

في الزمان البعيـد / القريـبِ

الكُـرومُ التي أَطْلَعَتْها مَواسمُنـا

وثبـةُ الدربِ في خَطْوِنا نحو ذاك النِّـداءْ ؟

هـل سيذكرنـا «الأصدقاءُ الغَيارى»

وقـد جَفَّفـوا ماءنـا

قبـلَ فصلِ النَّمـاءْ ؟

هـل سنَنسى إذا ما احترقْنـا معـاً

باللَّهيبِ الذي كانَنـا

والرمـادِ الذي صارَنـا ؟!

قُـم بنـا نَفتَـحِ البابَ كي يدخلَ الصُّبْحُ

نرفَـعْ لـه قُبَّـةً فوقنـا

علَّـهُ إن أراد الهُجوعَ تذكَّـرَ أنّـا

معـاً سوفَ نمشي إلى حُلمنـا

خلفَ هـذا الجَفـاءْ ..

بيـن جبلَيْـنْ

أَنـا قـادمٌ

من مُرتَقى جَبَلٍ يَضُـمُّ البحـرَ في وَلَـهٍ

يُعانِقُ مَنكِبـاهُ القُبَّـةَ الفَيحـاءَ

يَحمـلُ صدرُهُ الزمـنَ الـمُضاءَ بمـا تُشِـعُّ

بـه البطولـةُ ..

قــادمٌ

مـن رَوْعـةِ الصخـرِ الـمُوَشَّـحِ بالدمـاءِ

مُوقِّعـاً صـوتَ الصهيـلِ

مُعتِّقاً كالخمـرِ حُـبِّي

كـي أنادمَكـم هُنـا

يـا أهلـيَ الـمُستقبِلين قصائدي

تترنَّمـونَ بمـا حفظتُـمْ من كتابِ المجـدِ

فـي جبـلٍ يُكلِّلُـهُ السَّنـاءْ

أنـا قـادمٌ

وَيَـدي تَمُـدُّ إلى رُبـاكم كفَّهـا

خضراءَ كالشجَرِ الوَريفِ على أكُفِّكُـمُ

تُباركُهـا السمـاءْ

أنـا قـادمٌ من بيـتِ **صـالح** سامقِ العَتَبـاتِ

كـم صقَلَـت عزيمتُـهُ النفـوسَ

وكـم تحَـدَّى سَطوةَ الغازيـنَ

كـم رضعَـتْ كتائبُـهُ الشُّموخَ

مـن الجبـالِ الشُّـمِّ

والعزمِ الـمُتَوَّجِ بالتوهُّجِ

مـن قناديـلِ الإبـاءْ !

أنـا قـادمٌ أُهـدي إلى الـ**سُّلطـانِ**

مَـرْجَ سلامنـا المِعطـارَ وَهْـوَ ..

هُـوَ الشَّقيـقُ

الفارسُ المقـدامُ

والجَبَـلُ الجليـلُ

أَرى الحَمائمَ تَحمـلُ الآنَ الرسائلَ

مـن يديْـهِ إلى العَـلاءِ كواكبـاً

نسجَـتْ قميصَ الفجـرِ من لغـةِ الفِـداءْ

أجدادُنـا / أجدادُكـم .. يـا أهـلُ

بَنّـاؤونَ بيـتَ المجدِ

أركـانٌ لهـذي الأرضِ

إنَّهُمُ الرُّسوخُ على المَدى

وهُـمُ المَنـاراتُ السنيَّةُ

حيـنَ يجتـاحُ الظـلامُ رُبوعَنـا

ونفوسَنـا

وهُـمُ المَواسمُ فـي ثَـرانـا

إن أَرَدْنـا ،

والنَّمـاءْ

وهُـمُ المَعيـنُ الثَّرُّ للـرُّوحِ الشفيفـةِ

فـي إهـابِ الكبريـاءْ ..

أنـا قـادمٌ منكمْ إلـيَّ

ومنهـمُ نحوي يَمُـدُّ الأُقحوانُ أَكُفَّ نشوتِـهِ

بأوتـارِ الغِنـاءْ

فهرس

الصفحة

الصفحة

عَصيُّ الدّمع

الصفحة

من إيقاعات التَّختِ الشرقيّ

تقاسيم على قيثارة الروح

الصفحة

الطبعة الأولى / ٢٠١٦م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة